روايات عبير

٧

المليونيرة المدللة

WWW.REWITY.COM

مرمورية

روايات عبير

٧

www.rewity-ورية

"إنني أتلقى أوامري من أي شخص يدفع لي"

- كان ردُّ " مارك راينر " حاسماً
- ... وهو هنا والدك .
- لم يتح مسلكه أية فرصة للجدل ، وكانت " شارلوت " تغلي من الغضب .
- لم يكن " راينر " يرغب بصفة قاطعة في أن يلعب دور المربية لفتاة صغيرة مدللة وفاسدة . أما آخر شيء كانت " شارلوت " تريده فهو وجود " مارك " غير المرغوب فيه في خلفية حياتها كي يفسد عليها بهجتها .
- ولم يطفئ ذلك شرارة الانجذاب بينهما ، ولكن هل كان ذلك كافيا لبناء علاقة مستمرة ؟ إذا تأملنا طريقتي حياتيهما المختلفتين لبدا الأمر وكأنه وصفة لإعداد كارثة ....

الفصل الأول

ما إن علم "مارك راينر" بطبيعة مهمته القادمة حتى وجد نفسه مدفوعا لأن يقدم استقالته في التو واللحظة . قال بوجه متغضن :

– لم ألتحق بأعمال المخابرات كي ألعب دور المربية لفتاة صغيرة مدللة وفاسدة لأنها غنية .. قاطعه السير "إلريك واطسون" قائلا بنعومة :

– دعك من الشعارات . لو لم أكن على علم بأن هذه المهمة لا تزيد عما ذكرت لما طلبت منك أن تقوم بها .

– لقد كان الأحرى بوالدها أن يقوم بالمهمة بنفسه .

كان "مارك" وهو يعلق بقوله السابق يعلم أنه كان يفضل الأمل على العقل . ففي الوقت الذي لا تشكل سلامة "شارلوت بوفيل" أهمية كبرى للغرب كان من الواضح ضرورة ضمان حمايتها التي كانت السبب في إثارة انتباه رئيسه في الدرجة الأولى . ولكنه لم يكن قد توقع أن يطلب منه الإشراف على العملية بنفسه .

حرك السير "إلريك" سلسلة أمامه وهو يقول :

– أعتقد أن الحقائق لدينا .. صحيحة .

– بالتأكيد . إن وكالة المخابرات المركزية قامت بمراقبة الجنرال "فارجار" لعدة شهور ، وقد غادر العاصمة بالفعل وانتقل إلى التلال .

– ولكنهم متأكدون من أنهم يعرفون .. ما نسعى وراءه .

قال "مارك" بحزم :

– نعم ! إن "تليجواي" مستعدة الآن للثورة ، ولحظة وقوعها سيحاول رجال "فارجار" أسر الآنسة "بوفيل" .

– ولكن والدها يرفض أن يصدق ذلك .

– هو على علم بالثورة . دون شك .

هز العجوز كتفيه وقال :

– عندما تتيح استثماراتك في التعدين فرص العمل للآلاف ، فقد يكون لك العذر إذا ما فكرت في أن أي مواطن لن يهتم بالإضرار بك أو بعائلتك،وعلى أية حال فإن "بوفيل" يقول إنه ظل يحمي ابنته أكثر من ثلاث وعشرين عاما دون مساعدة من أية وكالة حكومية ملعونة – هذه كلماته وليست كلماتي – ولايجد مبررا لتغيير الوضع .

– هناك فرق شاسع بين حماية ابنتك من المختطفين المهتمين فقط بالمال ، وبين الإرهابيين المولعين بإطلاق الرصاص .

– عليك إقناع "بوفيل" بذلك وفي أسرع وقت ، إذا وضع المتمردون أيديهم على الفتاة لكان لذلك ردود فعل غير سارة على الغرب .

كان "مارك" يعلم أن السير "إلريك" على حق وإن لم يزد ذلك من سعادته بالمهمة . فقد بدا له أنه على مدى الأشهر القليلة القادمة سيكون ملزما بمراقبة سيدة شابة مدللة ولابد أنها ستشعر بالكراهية لوجوده حولها بقدر ما كان يشعر هو بذلك – قال :

– سألحق بأقرب رحلة طيران إلى "نيس" وأعتقد أن "بوفيل" ينتظرني .

– وماذا عن الأمن الفرنسي ؟ وحيث إن "بوفيل" يعيش الآن في فرنسا أليس من المتوقع أن يدسوا أنوفهم قسرا إذا لم ندعهم إلى ذلك ؟

أجاب السير "إلريك" :

– إن الرجل رعية بريطانية .

بدت الإجابة كافية وشد "مارك" وجهه وقال :

– يا للأسف إن حماية جميلة مدللة أقرب إلى الذوق الفرنسي عن البريطاني .

أضاءت الابتسامة التي صحبت كلامه وجهه النحيل ، وكشفت عن أسنان قوية بيضاء .

كان طويل القامة ، عريض المنكبين يميل إلى ما كان يشبهه عندما كان شابا قويا يدرس في جامعة "اكسفورد" قبل اثني عشر عاما عما هو عليه الآن كضابط عميل بالمخابرات . وفي الحقيقة أحس العديد من أصدقائه أنه عندما أصبح مرموقا في وزارة الخارجية قد أضر بوطنه عندما فضل الوظيفة على

الرياضة . بيد أن أمرين منعاه من الاتجاه للرياضة .

أحدهما : تمتعه بقدر عال من الذكاء الحاد الذي استلزم أن يواجه تحديا عقليا مقابل التحدي البدني ، وثانيهما : غرامه الشديد بالمنطق العقلي الذي كان ينظر إلى الرياضة كمجرد لعبة .

وهذه الصفات من الممكن أن تحقق له النجاح فيما لو كانت مفردة ، غير أنها مجتمعة أضافت للرجل قوة أخلاقية كبيرة ، حتى أن السير "إلريك" وظفه لديه وهو مايزال بالجامعة ؛ وبعد أن حصل على درجته الجامعية ، اختفى عن الأنظار مدة عام .

ولم يكن أحد فيما عدا عائلته يعرف أين ذهب . وعندما ظهر أخيرا كان أكثر نحافة وقوة . لقد أصبح عقله وجسده أكثر صلابة وحدّة ، كانت النساء من جميع الأعمار تتصارعن من أجل جذب انتباهه ، وكان يتقبل منهن ما يقدمنه ويمتعهن جسديا وإن لم يعطهن أي شيء من ذاته – كان عمله هو كل حياته ، ومن أجله تجنب أية ارتباطات عاطفية .

قال :

– سأحيطك علما بكل التطورات يا سيدي ، ولكني سأقوم بالدور وفقا للأحوال دون تخطيط .

ابتسم السيد "إلريك" وقال :

– هذا ما يناسبني ، فأذناك أفضل من أذني "منيوهن" !

مرت أربع ساعات بعدها كان "مارك" يعبر ممر مطار "نيس" الحار كأجنبي وقد ألقى سترته على كتفيه . كانت سماء البحر الأبيض المتوسط زرقاء دون غيوم ، والهواء دافئا وناعما على جلده ، مثل يد امرأة مدللة .

أخذ يراقب العديد من رجال الأعمال المشدودين والمتعبين يحملون حقائب الأوراق ويسيرون أمامه ، وفكر كم هم بعيدون عن مواقعهم .

كانت "نيس" شاطىء الأغنياء والمرفهين الذين كانوا يطيرون بالنفاثات كي يمتعوا أنفسهم ؛ الأمر الذي جعله يفكر في "شارلوت بوفيل" . ضاق فمه . لم يكن من العدل الحكم عليها قبل مقابلتها ، ولكن مما استنبطه لم تكن بالنسبة له

تختلف عن الحسناوات فارغات العقل ، اللاتي كن يشتركن معها في عطور "أريبج" و"دوم بيرينيون" .

طلب من سائق التاكسي أن يذهب به إلى "نيجرسكو" وبطريقة حذرة تعودها من كثرة المران ، اضطجع للخلف في مقعده ، كما لو كان ذلك هو كل لذته ، متتبعا الحشود السائرة على الشاطئ الحجري عبر منطقة "نزهة الإنجليز" .

أخذ بعد نصف ساعة تاكسيا آخر لاختصار رحلته ، حيث توجه في اتجاه "الانتيب" وهي من أجمل المدن على الريفيرا .

أحس بالرضا عندماوجد أنه غير متبوع ، وأمر السائق أن يوصله إلى "الكاب" وهو لسان خلف المدينة حيث تقع أملاك "شارل بوفيل" .

كانت الأملاك تشغل أصغر جزء من اللسان وتبرز مثل الإصبع من الكتلة الكبرى للكاب . كانت الأرض في ثلاث نواح تنتهي عند الصخرة ، تكاد تكون حوائطها رأسية ، تنحدر لأسفل إلى خط الشاطئ شديد الانحدار لا يصلح للسباحة . وبهذا يصبح الجانب المواجه للأرض فقط هو الذي يحتاج إلى الحراسة . لمح "مارك" الحائط الذي يبلغ ارتفاعه سبعة أقدام ، ولاشك أنه مكهرب ، وكان يمتد لمسافة لا تقل عن ربع الميل ، ويبدو مستحيل الاختراق ، وإن كانت التجارب قد أقنعت "مارك" بأنه لا يوجد شيء مضمون .

توقف السائق خارج بوابتين سميكتين من الحديد ، يحرسهما رجل تبدو عليه مظاهر القوة يقف داخل كشك محصن ضد الرصاص ، أعطاه "مارك" اسمه خلال جهاز "الانتركوم" المثبت في الحائط بعدها سار التاكسي عبر ممر متعرج سقفه مغطى بخشب البلوط . وعندما ظهرت الفيلا أخيرا بدت بألوان متعددة بهيجة تبهر البصر .

كانت الحوائط باللون الكريم ومبلطة باللون الأحمر ، تقف وسط وهج من الأنوار الذهبية ، تعلوها السماء الزرقاء ، ويحيط بها النجيل الأخضر بلون الزمرد . وهناك أعمدة صدفية من الرخام تحمل (باكية) الباب الأمامي . وكان هذا المظهر المغربي ينعكس أيضا على الأقواس التي تعلو النوافذ . وكانت النوافذ تتميز بشيش خشبي جميل مطلي بلون التركواز الناعم . وكان بعضها

مفتوحا وأغلبها مغلقا ، كما لو كانت تحجب الداخل عن العيون المتلصصة .

انتظر "مارك" حتى اختفى التاكسي عن ناظريه قبل أن يضغط جرس الباب الأمامي الذي فتحه في الحال رجل يرتدي سترة بيضاء ذو ملامح شرقية لا تعبر عن شيء ، ثم قال :

- أرجو أن تأتي من هذه الناحية يا سيد "راينر" حيث ينتظرك السيد "بوفيل"

خطا "مارك" داخل القاعة التي كانت واسعة ومستديرة ، وكان قسم من الحائط مغطى بالسجاد الفاخر ، بينما كان هناك في الجانب الأيمن سلم واسع من الرخام له سور (درابزين) من البرونز اللامع يقود إلى الطابق الأول . لمح خلف السلم مكتبة ، وكان الأثاث قاتما كان له إطار مزخرف بالنحاس الأصفر . قرر أن الأثاث من أفضل طرز الإمبراطورية الفرنسية ، وتساءل عما إذا كان باقي المنزل على نفس المستوى المتوقع ، ولكن لم يكن باقي المنزل كما توقع . كانت حجرة المعيشة الضخمة في المقدمة لها أبواب زجاجية منزلقة تشكل الحائط المواجه للشرفة - وكانت على الطراز الأمريكي الحديث - تعطي إحساسا بأن يد مهندس الديكور لم تمسها ، ولم يكن الطراز شخصيا ، وتساءل عما إذا كان الطراز من اختيار الأب أم الابنة .

كان كل مكان غنيا بالأعمال الفنية واللوحات التي تساوي فدية ملك ، وكانت تلك الأشياء هي التي استرعت انتباهه .

وبينما هو يتحرك وهو يتمتع بأعمال "كوردت" و"رمبرانت" و"هولباين" ، أخذ الكلب "اللابريدور" ذهبي الشعر يتشمم ساقيه ، صاح "مارك" بصوت عال وهو ينحني كي يربت على أذني الكلب .

- أمسكوا الكلب ! يمكنني أن أنزع لوحة كانافاه من على الحائط ، وأن أضع مكانها واحدة مزيفة ، وكل ما سيفعله هو أن يلعق يدي !

سمع صوتا هادئا من خلفه يقول :

- حاول أن تفعل !

استدار "مارك" كي يواجه "شارل بوفيل" كان مظهره بسيطا ، لم يوح بأنه واحد من أغنى أغنياء العالم ، كان نحيفا وقصيرا وقد مشط شعره الرمادي

بعناية .

وكان أحسن وصف له هو أنه نظيف ورشيق ولم تكن بذلته "السفاري" البيج تناسب لون بشرته الشاحب بينما كانت إحدى يديه المعروقتين تمسك سيجارة غير مشتعلة ، وإن كان مظهره يوحي بتقدم سنه . كانت عيناه شديدتي السواد ، تعبران عن الحزم من خلف زجاج نظارته ذات الإطار الذهبي . واصل الرجل حديثه .

– قد يبدو الكلب (ساندي) غير مؤذ ، ولكن إذا قمت بحركة مفاجئة فسيقبض عليك بقوة تفوق قوة مصارع ياباني .

تحرك نحو عربة شاي مملوءة وقال :

– أتود تناول مشروب قبل أن نبدأ الحديث ؟

– شكرا ، أفضل عصير فواكه من فضلك .

ملأ "شارل بوفيل" كوبين ثم أشار إلى "مارك" أن يجلس على مقعد ذي مساند قبل أن يجلس في مقابله . فحص الشاب لمدة دقيقة ثم بدا عليه الرضا ، فانحنى للخلف في راحة ظاهرة .

– لقد أطلعني السيد "إلريك" على الحقائق وأعتقد أنه من العدل أن أعترف بأنني لم آخذ الأمور مأخذ الجد . وأنتم يا رجال المخابرات تميلون إلى أن تجعلوا من الحبة قبة .

حاول "مارك" أن يكبت نفاد صبره وهو يقول :

– ليس هناك ما يدعونا إلى ذلك فلدينا من المشاكل ما هو أكثر من اللازم دون حاجة إلى اختراع غيرها .

– لم أقل إنكم تصطنعون ، وإنما تعطون الأمر اهتماما أكثر مما يستحق .

قرر "مارك" ، ألا يكشر عن أنيابه وقال :

– إذا نجح المتمردون في السيطرة على "تليجواي" فإنهم يعتقدون أن رجل صناعة مهما مثلك قد يقنع الغرب بأن الموارد الطبيعية في بلادهم يجب أن تؤول إلى الحكومة ، وليس إلى الشركات الأجنبية وكبداية قد يجبرونك على تسليم كل امتيازات التعدين الخاصة بك .

– أتعني كحركة إنسانية لدولة ناهضة ؟

قالها "بوفيل" في لهجة تهكمية .

– نعم وسيحجز الجنرال "فارجار" ابنتك رهينة حتى تفعل ذلك .

ظل الرجل صامتا لمدة طويلة ، ثم قال أخيرا :

– لقد عرضت قضيتك جيدا يا "راينر" ومن الأفضل أن تخبرني عن الحماية الإضافية التي يجب علي اتخاذها نحو ابنتي .

– ليس هناك شيء محدد ، وقد يجب علينا أن ننذر رجال "فارجار" بأننا مستعدون لهم وإن كنت أفضل شخصا مدربا على هذا الوضع ليظل معها طوال الوقت .

سارع "بوفيل" بالتقاط الحديث :

– مثلك مثلا .

– هل لديك أي اعتراض يا سيدي ؟

– لا ! دون شك ولكن ابنتي ستعترض ، فهي تكره دائما فكرة التابع الشخصي

– سيتغير تفكيرها لو شرحت لها الموقف .

– ليس لدي أية نية في أن أثير قلقها بالأمر . فكر "مارك" أنه من الواضح أن الأب قد دللها إلى درجة إفسادها ، وتذكر أنه علم من ملف "بوفيل" أن زوجته توفيت عندما كانت ابنته في الخامسة من عمرها ، ثم قال بصوت مرتفع :

– إن الأمر متروك لك يا سيدي ، ولكن كيف لي أن أظل قريبا منها دون أن تعرف من أنا ؟

– لقد حالفنا الحظ ، إذ إن سائقها "روبرتس" تقاعد وكنت أبحث عمن يحل محله . ولا أستطيع أن أعين أحدا في خدمتها دون موافقتها ، لذلك ستقوم باختبارك بنفسها ، وعليك أن تعد خلفية مقنعة وأن تحاول أن تخفي لكنة الطبقة العليا التي تظهر في حديثك ومظهرك . ثم ظهرت لمعة غير متوقعة في عيني الرجل السوداوين وهو يكمل حديثه .

– من الواضح أنك متعود على إصدار الأوامر أكثر من تلقيها ، لذلك ستكون

هذه المهمة غير سهلة عليك . وابنتي يمكن أن تكون صلبة الرأي عندما يسيطر عليها مزاجها .

ثم اقترب منه خطوة ..

– ... حظا سعيدا يا "راينر" فأنت في حاجة إليه !

اختفى الرجل وأعاد "مارك" ملء كوبه من دورق عصير فضي ، ثم أخذ يتجول في الحديقة . كان النجيل ممتدا حتى حافة الصخرة حيث كان هناك سياج حديدي بارتفاع أربعة أقدام يحمي الناس من المنحدر الحاد إلى البحر ويطل على الصخور أسفله .

وعلى اليمين كان هناك على بعد ثلاثين ياردة من المنزل درج صخري يقود إلى صخرة البحر ، نزل عليها "مارك" كي يعرف إلى أين تنتهي . وجد في النهاية شرفة مبلطة ببلاط ذهبي يحيط بحمام سباحة واسع على شكل الكلية أقيم في أحد أطرافه لوحة قفز ، بينما في الجانب المقابل بنيت خميلة على الطراز اليوناني وحجرات خلع الملابس ،ودون شك كان هناك – كما ظن "مارك" – حمام (سونا) وبار . تساءل عما إذا كان "شارل بوفيل" يستفيد من مساحة الترفيه ذات الحجم المهول لم يعتقد ذلك لسبب لايعلمه ، فقد تكون ببساطة مجرد لعبة مكلفة وغالية تلهو بها ابنته .

عاد إلى الشرفة المحيطة بالفيلا وجلس هناك ينتظر ظهور الفتاة . أخذ الكلب يتجول وينظر إليه فيما يشبه الابتسامة ثم قبع تحت أقدامه .

نظر "مارك" إلى ساعته ، لقد مضى على رحيل "بوفيل" نصف ساعة وتساءل "أين إذن ابنته ؟ هل كانت تأخذ غفوة ؟" . كانت الحرارة تجلب النعاس وأحس "مارك" بالرغبة في غلق عينيه . كان من القلائل الذين يمكنهم النوم كالقطط ثم النهوض نشيطا كما لو كان قد نام الليل بطوله . أسند ظهره إلى وسادة مطرزة بالأزهار ثم كتم رغبته في التثاؤب . كان من الأفضل له أن يظل يقظا فليس من صالح السائق أن يسقط رأسه في نوم إذا كان في انتظار إجراء مقابلة له ..

سمع صوتا جريئا خلفه يقول :

– آسفة أنني جعلتك تنتظرني طويلا .

قفز "مارك" واقفا حيث دلفت فتاة طويلة ملفوفة القوام أمامه كالنسيم ، قدم نفسه وهو يمد يده :

– "مارك راينر" .

تجاهلت الفتاة يده الممدودة وأخذت تتفحصه وتقيمه بدقة ربة المنزل عندما تتفحص قطعة من اللحم ..

قالت له بلهجة ماكرة :

– لابد أن هذه الحرارة تشويك .

وجد "مارك" صعوبة في أن يسحب يده وقال :

– كل شيء على ما يرام يا آنسة ، لقد تعودت عليها .

– على الأقل أرجو أن تجلس .

جلس وهو يحاول أن يظهر عدم الاهتمام .

جلست الفتاة على حرف مائدة ذات إطار حديدي وأخذت تطوح إحدى ساقيها الجميلتين بلطف، كان قميصها التيل الأبيض وسروالها متهدلين وإن كانا غاليي الثمن .. كل ما حولها كان يشي بالدلال والثراء والحياة السهلة . كانت بشرتها فاتحة ، وكان شعرها ذو اللون الأحمر الذهبي ممشطا بعناية ، في حين كانت عيناها ذواتا اللون الرمادي الذهبي تحيطهما رموش طويلة معتنى بها ، كانت عارية الذراعين وصدرها مشدود غير متهدل في شكل بالغ الكمال . أحس "مارك" أنها كانت تتباهى بحقيقة جمالها . تعمد أن يركز عينيه على وجهها ، وعندما لاحظ ذقنها الحاد ونظرتها المباشرة استنبط أنها ذات إرادة قوية مثل والدها .

– يقول أبي : إن لديك خطابات توصية ممتازة وأن آخر وظيفة لك كانت مع شخص اسمه السير "إلريك" أو آخر مثله . لماذا تركته ؟

– لقد أديت عملا إضافيا كبيرا ولم أنل عنه أجرا . كان تبريره أقرب إلى الحقيقة حتى ليصعب على الفتاة عدم تصديقه . فكر "مارك" أن ذلك حقيقي بالفعل ، وأن المرء لا يعمل بالمخابرات من أجل المال ، وأنه اعتمد على براعته في دعم دخله . لقد استطاع بشجاعته وحصافته أن ينقذ حياته في مناسبات

كثيرة ، وأن يحول ميراثه الضئيل عن جديه إلى ثروة كبيرة مكنته من الحياة كما يرغب . لم تكن عائلته فقيرة بل على العكس من ذلك ولكنه كان يصر على شق طريقه بنفسه .. قاطعت الفتاة استرساله في أفكاره .

– لن تحصل على وظيفة بأجر مضاعف هنا أيضا .

– أعرف ! ولكن والدك عرض علي مرتبا مغريا .

– إنه يعتقد أن المال يشتري الولاء .

– ألا تعتقدين ذلك يا آنسة ؟

– لا ، إن الولاء المشترى يستمر فقط حتى يظهر عرض أفضل .. أظن أنك تتصور وجهة نظري تماما .

حاول "مارك" أن يظهر قلقه وهو يقول :

– علي أن أكسب أفضل معيشة وأتعشم أن توافقي على توظيفي .

– تبدو صغيرا على الوظيفة .

– إنني سائق ممتاز .

نظرت إليه نظرة فاحصة .

– أتقبل هذا كأمر مضمون .. هل أنت ممتاز في الرياضة ؟

– يعتمد ذلك على نوعها .

قالت بوقاحة :

– ليس (رمي السهام) مثلا .

قاوم "مارك" رغبته في صفعها !

– أسبح وألعب التنس .. إذا كان هذا ما تعنيه !

– حسنا ! أعتقد أنك ستنجح يا "راينر" . قد يكون مسليا أن يجد المرء شابا بجواره .

سارت بتؤدة ناحية غرفة المعيشة ثم توقفت ونظرت من فوق كتفها وقالت :

– يقول أبي إنك حر ، وتستطيع البدء من باكر ، إذن سأنتظرك ، وسيشرح لك "روبرتس" واجباتك وإلى أن يرحل أرجو أن تظل في الفناء الخلفي .

قال "مارك" :

– لم نتفق على مواعيد راحتي .

– سيكون ذلك وفق راحتي ولكني سأحاول أن أخطرك بمواعيدها مقدما .

– شكرا لك يا آنسة .

قالها بتهكم ، نظرت إليه نظرة جادة وعرف عندئذ أن عليه أن يراقب زلات لسانه .

كانت الفتاة شديدة الحمق ولم يرغب أن يسمح لنفسه أن يثور إذا ما لعبت دور سيدة الشاشة وأن ترفض وجوده بجانبها .. أفلت من المأزق ببراعة وقال

– من أين يمكنني أن أحصل على الزي الرسمي ؟

– سيصحبك "روبرتس" إلى الخياط وإلى أن يتم تفصيل الزي يكفي ارتداء (بنطلون البحارة) مع قميص أزرق فاتح .

ذهبت دون أن تضيف كلمة أخرى وتنفس "مارك" الصعداء . كانت "شارلوت بوفيل" شيطانة مدللة فاسدة للغاية من الصعب التعامل معها ، ومع أنه كان على استعداد لتلقي الأوامر إلى درجة محددة إلا أنه لم تكن لديه نية أن يصبح بمثابة حيوان مدلل يهرع إلى قدمي صاحبته بمجرد الإشارة من إصبع "سيدته" .

الفصل الثاني

استلقت "شارلوت" على سريرها وهي تتساءل عن سبب تعاستها .. ثم تذكرت ، سيرحل "روبرتس" اليوم قبل أسبوع عن الموعد الذي توقعته .

– ليس هناك ما يدعو للاحتفاظ بـ"روبرتس" دون عمل . قال لها ذلك والدها في الليلة الماضية ولم تعارضه "شارلوت" عندما تبين لها صحة منطق والدها .

كانت تعلم منذ شهور مضت أن "روبرتس" على وشك التقاعد ، وإن لم تضع ذلك موضع اهتمامها . لقد كان معها منذ سن العاشرة ولن تجد شخصا آخر يمكن أن تحبه وتثق فيه مثله ، خاصة "راينر" رغم أنه بدا كفئا ويمكن الاعتماد عليه .

لقد كان به شيء يثير حيرتها : مظهر الثقة بالنفس المفرطة إلى حد الغرور ، وكان من القوة والثقة مما يدل تماما على أنه يكون أكثر سعادة فيما لو أصدر

أوامر بدلا من تلقيها .

كان دون شك جذابا للغاية ، ولابد أنه تعود على مطاردة النساء له . ولن يدهشها لو اكتشفت أن أغلب غزواته الغرامية كانت لنساء مخدوميه وبناتهم . ضغطت شفتيها بقوة. لابد أنه تصور عندما قدرها بنظراته دون أن يلاحظ أنها كانت تتبعه ، أنها هي أيضا فريسة سهلة المنال . حسنا . إنه سيتلقى مفاجأة ، ستجعله يرقص وفقا لهواها وستعامله معاملة لم يسبق أن عاملت بها "روبرتس" .

كان هذا بعداً جديداً للتسلية . منذ طفولتها تعلمت أن تحترم أي شخص يعمل لديها .

وفي الحقيقة لم يحدث أن فعلت غير ذلك ، حتى الآن، وعندما قررت ذلك كان مسليا أن تضع "مارك راينر" عند حده وأن تحتفظ به عند هذا الحد .

سمعت طرقة على الباب . ودخلت خادمتها كي تزيح الستائر ، وتعد حمامها . كانت "شارلوت" تشجع عادة "ماريا" على البقاء . ولكنها اليوم ترغب في البقاء بمفردها مع أفكارها . أزاحت الأغطية الحريرية الساتان الزرقاء جانبا ثم مشت الهوينا ناحية الحمام ، كان جسدها الطويل الملفوف يتحرك بحلاوة ، بينما انسدل شعرها الأحمر الذهبي على كتفيها مثل سقوط أوراق الخريف .

عندما تناولت الفرشاة أخذت تجري بها على الخصلات الحريرية . كان لون الشعر وراثة عن أمها الأيرلندية التي كان يناسب طبعها طبع ابنتها ، كما كان يردد والدها ذلك عن طبيعتها المزدوجة : الشكل العملي عن أجدادها البلچيكيين ، والفني عن أهل جزيرة الزمرد . عقصت شعرها في عقدة أعلى رأسها ثم خطت إلى حوض البانيو الممتلئ المصنوع من الرخام .

أخذت تشعر بالراحة في الماء المعطر ، واستغرقت في التفكير في السائق الجديد . كانت متأكدة تماما أن والدها اختاره لأنه يستطيع أن يستخدم البندقية ببراعة تشبه براعته في قيادة السيارة .

لقد حاول والدها طوال حياتها أن يخفي حقيقة أنها تخضع لحراسة دائمة ولم تجرؤ على إخباره أنها تعلم تماما ما يجري حولها ، وحتى الآن لم تفكر أنها تعلم أن العديد من البستانيين هم في الحقيقة رجال أمن .

تدثرت في رداء حمام من قماش البشكير وعادت إلى حجرة النوم وضغطت على زر مثبت في الحائط فانزلقت الأبواب المصنوعة من المرايا وانفتحت لتظهر قلب دولاب ملابس مساحته خمسة عشر قدما مربعا حيث رصت ملابس الصيف وأدوات الزينة في نظام ممتاز . كانت العشرات من ألبسة البحر البكيني مرتبة ونظيفة على رف واختارت أحدها دون تفكير ، كان بلون الياقوت ، الذي زاد لون خدها الكريم عمقا لم يكن يعنيها اليوم كيف تبدو . لم تكن ترى أحدا فيما عدا السائق الجديد ، وكان اهتمامها به اهتمام شخص محترف .

أحس "مارك راينر" بالنشاط واليسر في قميصه الأزرق الفاتح وبنطلونه الأزرق الغامق وهو الزي الرسمي للرجال بالمنزل . كان واقفا عند نهاية السلم المتعرج ، عندما تهادت بجمالها وعظمتها وهي تنزل السلم وقد ارتدت ثوبا قصيرا وحزاما فضفاضا حول وسطها الرفيع كاشفة عن ساقيها الرائعتين .

قال بعدم اكتراث :

– صباح الخير .

– صباح الخير يا "راينر" .

كان تعبير وجهه باردا مثل برودة لهجتها . قال في نفسه : إنها تود أن توقفني عند حدي . وحاول أن يخفي ابتسامته . استمرت في الحديث قائلة :

– سأتناول فطوري في الشرفة وسأستدعيك عندما أحتاج إليك .

مرت بجواره ومس رداؤها ذراعه حيث لم تبذل أي جهد لتجنب الاحتكاك به ، وكانت هذه الحركة علامة على أن عليه "هو" أن يبتعد عن طريقها ، فعل ذلك بسرعة واتجه إلى حجرة الخدم .

كانت الحجرة خالية ، وعبر الطرقة الضيقة إلى المطبخ المعد بفخامة . حيته الطاهية "إيفيت" بحرارة لأن إتقانه للغة الفرنسية جعله عزيزا بالنسبة لها ،

وأعطته قدحا من القهوة وشريحة من "البريوش" عليها طبقة غزيرة من الزبد . تمطى وجلس على كرسي ثم أخذ يقضم "البريوش" وهو يغمغم شاكرا ومقدرا لها . علمته طبيعته البحث عن الشائعات ودربته المخابرات على أن يكون صداقات مع الخدم ، لأنهم يعلمون الكثير عما يجري في المنزل أكثر مما يعرفه الموظفون . ولكن الأكثر أهمية بالنسبة له حاليا هو خوفه من أن يكون "التليجوانيون" قد تسللوا إلى هيئة خدمة المنزل للحصول على معلومات حول تحركات "شارلوت" . وأخذ يحاول أن يقدر مدى شعور كل موظف نحوها أجابت "إيفيت" عن تساؤله الماهر :

– لاشك أن الآنسة "شارلوت" مدللة وفاسدة ، ولكن لها قلب من ذهب عندما ألمتني مفاصلي – لأنني أعاني التهاب المفاصل – كانت تظهر دائما في حجرتي للدردشة معي.

– كم مضى عليك منذ تعرفت بها ؟

– منذ كانت في الخامسة من عمرها سنة وفاة أمها ، وكانت طفلة سعيدة للغاية ، حتى تلك السن كانت السيدة "بوفيل" تعتني بابنتها بنفسها . وكما تعلم ! لقد انتظر والداها طويلا حتى رزقا بالطفلة الغالية .

علق "مارك" بقلق حتى يجعل الحديث مستمرا ، لاعجب إذن في كون الفتاة مدللة

– لقد أصبحت فقط صلبة الرأس قوية الإرادة عندما تولت الممرضات والمربيات تربيتها ؛ كانت سلطاتهن تتحدى سلطاتها ولكنها كانت دائما تنتصر .

استمرت "إيفيت" في الحديث وأخذ "مارك" يختزن كل شيء على أمل ألا يأتي يوم يمارس فيه سلطته على الوريثة الشابة . وإذا ما فعل فلابد أن تشتعل المعركة حامية بينهما .

أخذت "شارلوت" تلقي نظرة على الصحيفة أثناء تناولها الطعام ، ولاحظت الأنباء التافهة المنسوبة إليها كانوا يصفونها بالمرأة الخارقة التي تمكنت من الحضور إلى العديد من الأماكن في وقت واحد ، أو أن يحيط بها كل هذه الأعداد من حرس الشرف والتابعين ، بينما لم يذكر أي شيء عن لقاماتها الغرامية مع "باري دافينبورت" الوريث لمصانع صلب "دافينبورت" .

توقف والدها بجانب مقعدها ووضع كفه الحانية على خدها وقال :

– هل ستخرجين أم ستمضين اليوم هنا ؟

ابتسمت وأجابت :

– هنا . قد يحضر "باري" فيما بعد وسيحضر بعض الشلة لتناول المشروبات .

– تمتعي بيوم سعيد إذن يا حبة العين . لدي اجتماع في روما وسأمضي الليل هناك . قبل رأسها ثم سار فجأة للخارج .

تناولت "شارلوت" القصة التي كانت تطالعها وحقيبة يد من جلد ذهبية ، يوافق لونها لون صندلها ثم اتجهت ناحية البحيرة كانت الحرارة قد اشتدت بالفعل وجلست أسفل مظلة ثم خلعت ثوبها وفتحت الكتاب .

كانت رواية من الروايات التي حققت أعلى مبيعات ، ولكنها وجدت بعد قراءة عدة صفحات أن القصة مكررة ، فألقتها جانبا ، ثم انقلبت على بطنها وضبطت وضعها كي تكون أكثر راحة .

– طلب مني والدك أن أنضم إليك . رفعت "شارلوت" رأسها ونظرت فرأت "مارك راينر" أمامها فقالت له بحدة .

– لقد أخفتني .. لم أرك وأنت قادم .

ولكنها أصبحت تراه الآن وكان يستحق فعلا أن ينظر إليه . كان يرتدي مايوها لونه أسود ويلتصق بجسده ، كما لو كان طبقة أخرى من جلده يجذب الانتباه إلى عضلات ساقيه القويتين .كان عريض الكتفين قويهما وقد اكتسى صدره بالشعر الذي كانت قد لمحته فيما سبق من خلال قميصه ، كان شعره غزيرا حريريا بينما يلمع جلده البرونزي دون استخدام زيت . اعتذر قائلا :

– لم أكن أقصد أن أخيفك .

– لم أخف .. لقد كدت أتضايق .لن يستطيع أحد أن يسبب لي أدنى خوف .

واستمرت :

– أتعرف أن فواتير طعام كلاب الحراسة الأسبوعية يمكن أن تطعم عائلة متوسطة لمدة شهر ؟

قال "مارك" دون أن تبدو أية نغمة في صوته – إنني متأكد من أن والدك يحسب النفقات جيدا .

– لست غبية . ولكني متأكدة من أنه لاحاجة لنا لوجود بندقية خلف كل شجرة ، أو إلى حارس يتخفى في صورة سائق – لن تستطيع أن تخدعني يا "راينر" فالسائقون الحقيقيون لا يلبسون حمالة مسدس تحت قمصانهم .

لو أنها أملت أن تؤثر عليه بقوة استنتاجاتها لخاب ظنها إذ إنه كاد يبدو مسرورا سألته :

– هل أنت تقوم دوما بهذا النوع من العمل ؟ هز رأسه بينما سقطت على وجهه خصلة من الشعر الحريري . أعادها للخلف بيد قوية ثابتة وقال :

– إن أحسن وصف لي هو أنني صاحب سبع صنائع ..

– وسيدها كلها أيضاً وأعتقد أن والدي استأجرك لهذا .

قالت هذا معلقة بصفاقة .

– أعتقد أنه تأثر بخطابات التوصية يا آنسة ! غمغمت "شارلوت" متجاهلة ملحوظته :

– إنني على استعداد لدفع أي ثمن في سبيل أن أعيش حياة طبيعية . إنه لمن الأمور التي تسبب الاكتئاب أن يعزل المرء عن العالم الحقيقي ، وألا يصبح حرا في الذهاب كيفما يريد ، وأن أرى من أختارهم . وحتى عندما أكون بالكلية ، لايسمح لي أن أعيش داخل المدينة الجامعية ، لأن والدي يعتقد أنها غير آمنة .

– ماذا تدرسين ؟

– الفنون الجميلة .

– دراسة مناسبة للغاية إذا ما وضعنا في الاعتبار أن والدك من هواة جمع التحف. هل تشترين التحف له ؟

قطبت جبينها وأجابت :

– لا ! عندما يستطيع هو ذلك ، وذوقانا مختلفان تماما ، فهو يبحث عن لوحات الفنانين القدامى .

لفت حلقة من شعرها الذهبي حول إصبعها وكانت هذه الحركة مع الأساور

الذهبية حول معصمها تشكل حركة حسية غير مقصودة ، وأضافت .

– إن هوايتي هي اكتشاف المواهب الجديدة وتمويلها .

قال "راينر"

– هواية رائعة .

– يظن والدي أن عليّ أن أقوم بعمل أكثر فاعلية خاصة في مجال الأعمال ، ولكني لم أظهر أي حماس له .

– من يتولى عنه أعماله ؟

– لديه عشرات المديرين .

– ولكن كما قال "هاري ترومان" من سيستمر من بعده ؟

– أعتقد أنه الرجل الذي سأتزوجه . هو متأكد من أنه سيكون مليونيرا من نوعه ولن يقاوم فرصة أن يصبح ملياردير عن طريقي . ابتسمت ابتسامة واسعة وأضافت :

– وهذا يعني أنني سأبدل شخصا بآخر من نفس النوع .

– على الأقل الطيور على أشكالها تقع .

قاطعته بحدة :

– لا أجد الأمر مسليا ، ولست أدري لماذا أقول لك كل هذا؟ .

– إنني أقدر ثقتك في يا آنسة "بوفيل" وأنا أشفق عليك .

سألته في الحال :

– هل تشفق علي للدرجة التي تسمح لي ببعض الحرية ؟.

– أخشى ألا يكون الأمر مرجعه إليك .

– إنني قادرة على العناية بنفسي ، إنني أجيد لعبة الجودو ، وحاصلة على الحزام الأسود وأستطيع أن أطلق النار مثل أي رجل هنا فيما عداك .. دون شك .

قالت هذا بطريقة ساخرة وأضافت :

– لابد أن ننظم مباراة وأن نراهن على النتيجة .اتخذت وضع الجلوس والتحدي وقالت – هل أنت متحد يا "راينر" ؟

– إنني أتمتع بهذا المديح وأفضل أن أرفع من حماسك ، فأنا مقامر سعيد الحظ .

– إذن قد ألعب في الجانب الآمن وأراهن عليك .

أطلق ضحكة فجائية عفوية وأحبت صوت ضحكته ، وأحبت ما صنعته تلك الضحكة بوجهه ، حيث أبعدت عنه مظهر الحارس واتسع فمه وأصبح أكثر جمالا . حتى عينيه تغيرتا حيث ضاقتا عند الأركان ، وتحول الشعر الرمادي الداكن الصلب إلى فضي .

التقطت أنفاسها بصعوبة . ماذا يهمها ؟ شكله هو ليس حبيبها . قالت بسرعة – سأقوم بالسباحة . أرجوك اذهب للمنزل وأحضر لي (بيكيني آخر) لأنني لا أريد أن أظل في (مايوه) مبلل .

– أفضل ألا أتركك ، سأتصل بالهاتف وأطلب من خادمتك إحضار المايوه هنا .

كانت "شارلوت" قد وصلت إلى حافة حوض السباحة فاستدارت لمواجهته وقالت

– هل ترفض تنفيذ ما أطلبه ؟

– لا دون شك ولكن ...

– إذن افعل ما أمرتك ، ستجد المايوهات في دولاب مدخل حجرتي .

لم تنتظر رده وغطست في الماء وعندما صعدت ثانية كان قد غادر المكان .

عندما توجه "مارك" للفيلا أخذت عيناه تفحصان النجيل . أخذ يراجع نقط الحراسة بنفسه ولم يترك واحدة ، كانت جيدة الإخفاء ، والحراس رجال ذوو كفاءة عالية ومع ذلك ظل عصبيا كقط . كان هذا النوع من العمل بعيداً عن التمرين ، الأمر الذي كان يزيد من عصبيته . هذه المهمة كان من الواجب أن توكل إلى شخص آخر من أفراد الأمن .

قبل ذهابه إلى حجرة "شارلوت" توقف لحظة للاتصال بالسير "إلريك" الذي جاء صوته مقتضبا .

– "مارك"! سعيد بسماع صوتك . لقد تلقينا الآن خبرا بأن المتمردين قد سيطروا على "تليجواي" .

– إذن سأظل هنا لمدة طويلة ؟

– ما لم يوافق "بوفيل" على أن نضع ابنته في منزل محصن لعدة شهور قادمة

– انس الأمريا سيدي ، وحتى لووافق والدها فهي لن توافق .

– إذن الأمر كذلك !

– أخشى ذلك . إنها تريد أن تعتبر فتاة عادية .

– أعتقد ذلك بحق السماء .

– أنا كذلك .. لو استمر الحال كما فعلت هذا الصباح فستحتاج إلى من يحميها مني. سمع سلسلة من الضحكات العالية :

– هذا حسن كي تتمرن على السيطرة على نفسك يا بني ؛ لأنك لم تتمرن على ذلك كفاية عندما يتعلق الأمر بالنساء .

– ليس هذا بالضبط ما أعنيه .

أجاب السير "إليرك" :

– أوه ! إذن أنا لست على الخط معك .

– إنك محظوظ .

قالها "مارك" وتنهد ثم وضع السماعة .

انتظرت "شارلوت" عودة "مارك" بنفاد صبر . كانت قد خلعت البكيني المبلل ، وعلقت القطعتين الحريريتين كي تجفا على قطعة خشب مخصصة لراحة القدم ولفت جسدها في روب من البشكير وردي اللون يكشف من جسدها أكثر مما يخفي ، بينما عقصت شعرها الذهبي الطويل فوق رأسها . كانت تحس بأنها مرغوبة إلى أقصى الحدود .

بدا أن "راينر" غير مدرك لتلك الحقيقة . فوقف أمامها ثابتا كالتمثال ، لم يرمش له رمش ولم يظهر أي رد فعل لجسدها شبه العاري أمسك البكيني ومده إليها قائلا:

– البكيني الخاص بك يا آنسة !

غمغمت :

– إنك لم تبذل أي جهد للإسراع .

– لقد قادتني إحدى الخادمات إلى غرفتي وطلبت مني مراجعة أي شيء مفقود

أو ناقص بحجرتي .
– هل فعلت ذلك ؟
– نعم ، شكرا يا آنسة . إن والدك رجل لديه تقدير وذوق .
صاحت :
– أنا أكثر تقديراً وذوقاً ! إن والدي يترك إدارة المنزل لي .
– إذن لقد أديت عملا رائعا يا آنسة .
كانت لهجته متواضعة ، وإن كانت تعبيراته قد دعتها لأن تشك أنه لا يعني أن يكون متواضعا . سقطت عيناها على قطعتي الحرير المنقط في يديها بينما كسي وجهها بغيوم الغضب .
– إنهما ليسا من نفس النوع لقد أحضرت القطعة العليا لمايوه والقطعة السفلى لمايوه آخر .
– آسف يا آنسة ! لم أكتشف هذا لأنني مصاب بعمى الألوان .
لم تكن "شارلوت" متأكدة هل تصدقه ؟ ولكن لم يكن أمامها الاختيار في هذه اللحظة.
قد تكتشف الحقيقة مصادفة ، وبحق السماء عليه أن يسأل الله الرحمة لو اكتشفت أنه كاذب . سألته بصوت مرتفع :
–لماذا لم تقل هذا ؟
– لم تتيحي لي الفرصة . لقد أصررت ؛ وفعلت ما أمرت به .
كان على حق وكانت تعلم ذلك ولكنها لم تكن تعتزم الاعتذار له .
– حسنا ، يمكنك العودة وأن تطلب من "ماريا" أن تعطيك الزي الصحيح .
انسحب بهدوء ولسبب ما أحست "شارلوت" أنها لم تحرز أي فوز عليه بل إنها تعلمت درسا من أستاذ في فن التكتيك .

الفصل الثالث

تناولت "شارلوت" طعام الغداء بجوار حوض السباحة بينما أخذ "مارك راينر"

يأكل خبزا فرنسيا وجبنا بجوار مجموعة من الأشجار . لم تكن لديه الرغبة في الذهاب إلى حجرة طعام الخدم وأن يترك مهمته بمفردها . كان يراقبها بدهشة وهي تلتهم شمام شارينتيا وسلاطة المحار وطبقا كبيرا من التوت الطازج والكريمة.
– إنه لأمر لطيف مشاهدة امرأة لا تتعارك مع طعامها .
كان هذا تعليقه عندما انضم إليها بعد قليل ، ثم سيطر على نفسه عندما تبين له أن هذا التعليق لا يجوز أن يصدر من خادم إلى مخدومته . لم يبد عليها الاهتمام ، ومع ذلك فقد اتسعت عيناها الرماديتان من السرور .
– وماذا عنك يا "راينر" ؟ هل تعد السعرات الحرارية ؟ – إطلاقا .
– عندئذ ستحبك "إيفيت" وستملأ طبقك عاليا .
– عليّ أن أقوم بالعديد من التمرينات .
اقترحت "شارلوت" :
– يمكنك السباحة الآن إذا رغبت وإذا كنت لا تخشى ترك موقعك ستجد العديد من ألبسة السباحة في كشك حمام السباحة وبذلك لن تضطر إلى ارتداء لباس مبلل بعد ذلك .
– لقد تركت مايوها احتياطياً في دولاب الملابس .
عندما لاحظ ارتفاع حاجبيها دهشة أسرع بالقول :
– لقد خططت لأخذ حمام سباحة في آخر الليل .
أشارت إليه للانصراف ، وحاول أن يبدو ممتنا وذهب يبحث عن منشفة .
عندما عاد إلى حوض السباحة كانت الفتاة ممددة فوق مرتبتها وقد أغمضت عينيها . أخذ يدرسها ببطء . لم يجد أي خطأ في تكوين جسدها الجميل . كانت طويلة القامة ملفوفة القوام كالظبي بكل ماله من استدارات سليمة وصدر جميل . قال في نفسه « آه لو قابلتها في الظروف العادية ... » صعدت نظراته إلى شعرها الذي كان يبرق كالنار، وكان يختلف تماما عن شعر "ليزا" الفاحم الثائر ؛ تلك الفتاة التي شاركته إجازته الأخيرة في "برمودا" والتي لاتزال تطارده .

أخذ يتهادى على البلاط الرخامي ووقف على بعد ياردة من سيدته . مرت لحظة ثم أخرى كان يعلم أنها نائمة – كانت هزات رموش عينيها تدله على ذلك – اشتاق أن يلتقطها ويهزها أو يلكمها بلطف في المكان الذي يؤلمها أكثر . لايزال الاثنان يلعبان نفس اللعبة . ظل في مكانه دون حراك .

ارتفعت الكتفان المستديرتان بعد مدة بينما رمشت العينان الرماديتان الذهبيتان ضد أشعة الشمس . أحس "مارك" بأنه تحت الفحص من قمة رأسه حتى أخمص قدميه . لقد فهم هو أيضا لاشك في ذلك . اعتقد أيضا أن "شارلوت" هي الأخرى تمتحنه وكانت تنتظر لترى هل يمكنها أن تثيره أم تحرجه بجسدها شبه العاري . ولكن أي أمل لها لابد أن يفشل ، لأنه كان جيد التدريب على كبت مشاعره . صعد غير مكترث إلى لوحة القفز . لقد سألته عما إذا كان سباحا ماهرا، فليرها الآن عرضا جيدا .

صعد بثبات إلى أبعد مكان واتخذ وضعه عند نهاية اللوح وهو يحس باهتزازه تحته . اشتدت عضلات بطنه عندما رفع ذراعيه ، وخفض رأسه ثم قفز . كانت قفزة رائعة وغطس في الماء كالسكين . لمست كفاه قاع الحوض وانزلق ببطء صاعدا إلى السطح ثم سبح كرول بقوة إلى جانب حوض السباحة .

صعد من الحوض بحركة رشيقة وجلس على حافته وهو على علم بأن "شارلوت" تراقبه . انتظر حتى تبدأ هي الكلام وكان يشعر بالتوتر ولكنها استدارت في صمت وتمددت على معدتها يالها من شيطانة قاسية !

أراح نفسه في هدوء على مسافة قريبة منها ثم استرخى على ظهره . تحول توتره إلى سرور . إذا كانت تتوقع أن يظهر عليه الضيق فعليها أن تنتظر ذلك طويلا . أحس بها تنهض قبل أن يسمع حركتها ، كانت قدماها تحدثان صوتا يكاد يكون غير مسموع عندما مرت به .

لم تمتدح "شارلوت" عن عمد قفزة الغطس التي قام بها "مارك" وقررت أنه مغرور أكثر من اللازم ، وعندما صعدت سلم القفز كانت على علم بأنه يراقبها .

كانت على ثقة من أن أي شيء يستطيع القيام به يمكنها هي أيضا أداؤه على قدم المساواة لم تتدرب إذن لبطولة الأوليمبياد للاشيء .

أدت قفزة عكسية وغطست بصدرها في الماء ، صاح :

– ممتازة يا آنسة ! لم أشاهد أحسن من هذا فعلا قفزة من الدرجة الأولى .

كانت تعلم في الحال أن تشجيعه الذي كرره مرتين قصد به أن يريها مدى نقص تربيتها عندما شاهدت قفزته . احمر وجهها بغضب كيف يجرؤ على محاولة وضعها عند حدها ؟

عندما عادت إلى مرتبتها وجدت أنه من المستحيل أن تشعر بالراحة . وضايقها أن "راينر" لم يشعر مثلها بأية صعوبة إذ بعد دقيقة أخذ نفسه المنتظم ينم عن استغراقه في النوم .

أسقطت نفسها بحذر وأسندت رأسها على كوعها وأخذت تراقبه . كان ممددا وقد سقط شعره الطويل على جبهته وكان يلمع كالأنوار في الليل .

وأخذت خطوط شعره تمتد على جانبي أنفه الرفيع الطويل حتى فمه بينما كان حاجباه الواسعان ناعمين .

وحتى في راحته بدا رجلا يمكن الاعتماد عليه رجلا قادراً تماما على العناية بنفسه وبها ولماذا بحق السماء لا يكون كذلك ؟ لماذا يكون نائما في الوقت الذي عليه أن يكون متنبها ؟ وحتى عندما فكرت في هذا فتح عينيه على اتساعهما ، وكانتا لامعتين كعيني الطائر . قفزت بسرعة واقفة سألته .

– أتود أن تغامر بمباراة تنس ؟

– أليس الجو شديد الحرارة ؟

– ليس بالنسبة لي .

هز كتفيه في إذعان ثم نهض .

– ليس معي المضرب المناسب يا آنسة .

– ستجد ما تحتاج إليه في غرفة تغيير الملابس الموجودة بعد

الملعب .

قالت ذلك وهي تتجه نحوها .

عندما ظهر كان وسيما في الشورت الأبيض والسترة التي تحمل العلامة (YSL) كانت هي قد غيرت ملابسها بملابس صيفية ذات طيات . ذهبت في صمت نحو الجانب البعيد من الملعب دون أن تنتظر إجراء القرعة حسب الأصول . قررت في نفسها أن يواجه هو الشمس . إن لديه بالفعل فكرة مسبقة عن عدم مراعاتها للذوق فلماذا إذن تشغل نفسها بعدم إزعاجه ؟ .

ضربت الكرة نحوه ، ثم تبادلا الضربات لمدة دقيقتين . صاحت بنفاد صبر .

– دعنا نبدأ . إنه من المضجر تبادل الكرة إلى الأمام وإلى الخلف سأجري القرعة لمن عليه لعبة البداية .

– هل أنت متأكدة أنك تهتمين بإجرائها ؟

كان تعبيره باردا ولكنها لم تخدع بذلك فابتلعت أحزانها وأرجحت المضرب قائلة

– الناعم أم الخشن ؟

– الخشن .

– الدور عليك .

قالت ذلك بطريقة الطفل الثائر لخسارته وغير القادر على كبت انفعاله .

صدت كرة منخفضة فاصطدمت الكرة بالشبكة كانت لعبة ممتازة من الصعب عليها ردها . إذن لقد عقد العزم على أن يلعب بكل قواه ، إذا كانت رمية البداية عنده من الصعب صدها فإن لديها الكثير للفوز بالمباراة .

فاز بدور الافتتاح بمجموعة ٦ / ١ وفي منتصف الدور الثاني بدأت في الانحدار وإن لم تكن لديها نية التسليم . احمر وجهها وتطاير شعرها الأحمر الذهبي في ضوء الشمس الساطع ، وأخذت تندفع نحو كل كرة وأخذت خيوط العرق تسيل على وجهها وبين يديها ، ألقت نظرة سريعة على "رايز" قالت في نفسها :

السائق ؟ كان دوما في المكان المناسب ينزلق ناحية الشبكة ويرفع الكرة إلى زوايا من الصعب صدها ومع ذلك كان يبدو في برودة ثمرة الخيار . اعترفت ممتعضة بقوة لعبه وبالجاذبية الجسدية التي يتمتع بها .

ومع ذلك تملكها العناد الذي يصيب الشخص الذي يكره الخسارة ، أعطت اللعبة كل قوتها كانت معركة مبئوساً منها . لقد هزم إرادتها بالفعل . قال وهما يغادران الملعب .

– لقد أديت معركة ممتازة .

– لقد كنت تلعب لعبا نظيفا حقا .

سألها عمن علمها اللعب وقطب حاجبيه عندما أخبرته باسم أحد أبطال "ويمبلدون" .

– لابد أن أعرفه .

– إن والدي يؤمن بالأفضل .

لم يقل السائق أي شيء .

– هل تتكلم فقط عندما يوجه إليك الحديث يا "رايز" ؟

– هذا أول أيام عملي يا "آنسة" ، وأنا أتحسس طريقي .

– هل يعني هذا أنك ستكون أكثر حديثا في المستقبل .

– إذا كانت هذه رغبتك يا آنسة .

– الآن ، أود أن تكف عن مناداتي يا آنسة في نهاية كل جملة ، إن أدب الخدم لايناسبك .

– حقا يا آنسة ؟ أسف لقد نسيت .

– أعتقد أنك لست أسفا بالمرة .

ثم أضافت "شارلوت" :

– أعتقد أنك تمثل تمثيلية ، وهو أول شيء لاحظته عليك . إن الدور لا يناسبك .

– إذا لم يكن في الأمر وقاحة أنا ...
– ليست وقاحة يا "راينر" . لن أتحمل هذا ولكنّ هناك أمراً ما يمسك ...
اختفت في إحدى حجرات تغيير الملابس وأشارت إليه أن يفعل مثلها .
ظهر "مارك" أولا وكان من الواضح أنه عندما ستظهر "شارلوت" لن تستأنف هجومها عليه كان على حق لأنها عندما لحقت به سألته عن سنه .
– أبلغ الثانية والثلاثين من عمري .
– أين ولدت ؟ .. لم يطلعني أبي على مؤهلاتك وقال إنه أعادها إليك .
– لقد أتيت من مقاطعة "أكسفوردشير" .
– من منطقة السماسرة؟
– تقريبا من منطقة الرهونات .
سألته :
– ماذا يعمل والدك ؟
– لقد تقاعد عن العمل . ولكنه كان يعمل بالجيش النظامي .
قصد "مارك" بذلك أن تفهم أن والده كان ذا رتبة متواضعة ، وليس جنرالا كما هو الواقع .
– ووالدتك ؟
– إنها تخيط الملابس .
لم تكن هذه كذبة حيث إنها عرضت في العام الماضي سجادة رائعة قامت بصناعتها .
– هل لديك أشقاء وشقيقات ؟
– أخت وأخ – يدير أخي أملاكا صغيرة .
وكان هذا أيضا حقيقيا إذا ما قورن بآلاف الهكتارات التي يمتلكها زوج شقيقته
– وأختك ؟
– إنها متزوجة وتسكن على بعد أميال من الحضارة . فكر "مارك" في شقيقته "أليسون" التي تعيش في قلعة اسكتلندية محاطة بالكلاب والأطفال وزوج محب

تعبده .
– دعنا نعود إليك .
جلست "شارلوت" على طرف الحمام وأخذت تؤرجح ساقيها في الماء اللامع ، قالت :
– أين تعلمت الحديث بالفرنسية بطلاقة ؟
لقد لاحظتك وأنت تتحدث مع إحدى الخادمات .
– لقد تعودت أن أصطحب أصحاب العمل السابقين في الخارج وكثيرا ما كنا نحضر هنا .
– فهمت . لقد ظننت أنك ربما تكون قد التحقت بالجامعة .
– آه ، لا يا آنسة ، لست ميالا للدراسة .
– لا تنزل من قدرك يا "راينر" إنك تدهشني بذكائك المبهر كما أنك تتحدث جيدا من حيث المحتوى واللهجة .
فكر أنه ليس الوحيد الذكي وأن أية هفوة يمكن أن تكشف سره ، قال بصوت عال :
– إنني مقلد جيد ، والعمل مع الناس الأذكياء علمني الكثير .
– ألا تحس بالسخط لكونك تحت أمر شخص آخر .
– القليل جدا منا هو الحر ، وعلى أية حال فإنني أتمتع بالحياة في معيشة فاخرة وأقود سيارات فارهة وأسافر حول العالم بالدرجة الأولى وأتلقى أيضا ثمن هذا .
سألته بقحة :
– ألم تفكر في أن تصبح زير نساء إنها المهنة المثالية للشخص حسن المظهر الذي لا يغامر بالعمل الشاق ، وقد ينتهي بك الأمر بأن تعرض عليك الزواج إحداهن .
– لا يمكن أن أذبح حريتي مقابل المزيد من المال .
– هل تتنازل عنها مقابل الحب ؟
– لا ليس ممكنا ، طالما أمكنني الحصول عليه دون أن أسلم نفسي .

– إذن ستظل عزباً لسنوات طويلة .
قالت ذلك ثم انزلقت في الماء وقالت :
– هيا تعال ! وأطفىء حرارة جسدك . بدأ سباقا وسمح لها بمسافة عادلة أمامه قبل أن يلحقها ثم يتجاوزها .
ابتسم عندما وصلت إلى الجانب الآخر من الحمام ثم رفعت نفسها إلى الحافة بجانبه .
– لا تقلقي .. ستهزمين أية امرأة على شاكلتك ، سرت "شارلوت" عند سماعها المجاملة ، ثم فجأة تضايقت من نفسها لتأثرها بما يقول .
– هل هناك رياضة لا تتقنها يا "راينر" ؟
– كرة الشبكة .
لم تمسك نفسها عن الضحك وقالت :
– أعتقد أنك وضعتني في مكاني بما يكفي اليوم ويمكنك أن ترتاح بقية اليوم ولن أحتاج إليك حتى الغد .
– هل ستظلين هنا في المساء إذن ؟
– وحتى إذا لم أكن كذلك ، فلن أخرج بمفردي .
– لقد قال والدك : إنه يجب عليّ أن أصحبك في كل الأوقات .
– أنت سائقي وستتلقى الأوامر مني .
قالت ذلك وقد بدا عليها الضيق .
رد عليها "راينر" :
– إنني أتلقى الأوامر ممن يدفع لي أجري وهو أبوك . لم يتح مسلك "راينر" أية فرصة للجدل رغم أنها كانت تغلي من الغضب . فكرت أنه من الأكرم لها أن تسلم ، وعندما تقابل والدها يمكنها أن تعبر عن شعورها بوضوح وقد تستطيع أن تطرد هذا المغرور . قالت :
– في الحقيقة إنني لن أخرج وسيحضر إلي بعض الناس لذا فأنت حر أن تفعل ما تريد ولكن إذا كانت لديك نية الوجود بالقرب مني فعليك أن تظل في الفناء الخلفي ولا تطارد الفتيات صديقاتي .

أحست بالسعادة وهي ترى اللون يهرب من وجهه ، ومع ذلك سحبت إجابته اللون من وجهها .
لن أحلم بهذا يا آنسة "بوفيل" أكثر من حلمي بمطاردتك أنت .. إنني أعرف مركزي .
– أتعرف ذلك .. ليس هذا ما يبدو عليك دائما .
– إنني آسف عندما أضطر أحيانا للحديث بصراحة ، ولكني أؤكد لك أنه إذا كان الأمر يتعلق بالنساء فالأفضل أن أنضم إلى بني جنسي .
لم تصدقه "شارلوت" . كان يدهشها كرجل يستطيع الحصول على ملذاته أينما وجدها وكيفما ناسبته . ومع ذلك فإنه وقت الأزمة يصبح جريئا وذكيا وباردا كالثلج ، ولهذا تماما اقترح والدها عليها أن توظفه .
– ما النوع الخاص بك ؟
لم تقاوم نفسها من توجيه ذلك السؤال فأجاب :
– النوع المثير العزب وأفضل النوع الصامت .
– لقد نسيت النوع الجميل أم أنه غير مهم ؟
– لا تحظى الجميلات بالأفضلية عندي ، فالجميلات من الصعب مطاردتهن . وأنا شخصيا أعتبر مطاردتهن أمرا مملا .
– أعتقد أن المطاردة هي كل شيء .
– قد يكون ذلك بسبب أنك لم تقعي في المصيدة بعد .
سرت موجة حارة لونت وجهها . ليس هناك ما يمكنها وقفه به ، وعرفت أن "راينر" يعرف ذلك أيضا لأن بريقا باهتا سرى في عينيه . اعتذر لها قائلا :
– لم أقصد أن أحرجك .
أنكرت ذلك .
– لقد تغير لوني بسبب أنني غاضبة . رأت من ارتفاع أحد حاجبيه أنه في انتظار أن توضح له ، ولكنها استطاعت الإفلات ببراعة .
– قد أنسى أنك السائق الخاص بي صدفة يا "راينر" ولكن عليك أنت ألا تنسى ذلك .

عادت ثانية إلى مقعد الشاطىء الخاص بها واستلقت عليه ثم فتحت الكتاب . عندما رفعت رأسها وألقت نظرة وجدت جسده الطويل ، عريض الكتفين ، يبتعد في اتجاه الفيلا .

مرت بلسانها على شفتيها . كان لـ "راينر" كل الصفات التي تدير رأس أية فتاة حتى ولو كانت في مستواها الاجتماعي : نظراته وسحره وسلوكه الشيطاني الذي يجعل المرء يشتاق أن يوجه له لكمة أو لكمتين ومع ذلك فإن تأمل أي نوع من الارتباط العاطفي معه هو أمر يثير السخرية وإذا ما أخذنا في الاعتبار الاختلاف في الوضع الاجتماعي لابد أن ينتهي الأمر بكارثة .

طردت أي تفكير معقول في الأمر : لماذا تفكر فيه بطريقة سخيفة ؟ منذ ساعات قليلة مضت . أقسمت على أن تجعله يمشي على أطراف أصابعه وفقا لأوامرها ويرقص على ألحانها ، وها هي ذي الآن تفكر فيه كعشيق .

– كيف تتحدث عن مجنون . على الرغم من جاذبيته فهو رجل لم يستخدم ذكاءه مفضلا أن يعمل في عمل أجره زهيد نسبيا .

إذن لماذا هي منجذبة نحوه ؟ كانت دوما تعجب بالرجال الناجحين ومن هذه الناحية يحصل "راينر" على درجة صفر .

تنهدت ! من المستحيل أن نفكر في العواطف بطريقة معقولة . ولكن الأمر هنا مثل الإصابة بالحصبة ما إن يصاب بها المرء حتى يظل يعانيها حتى يشفى تماما .

الفصل الرابع

دهشت "شارلوت" من الطريقة التي تصرف بها "راينر" مع أصدقائها في هذا المساء. وبسبب أنها منحته راحة في الليل فقد ارتدى ملابسه الخاصة المكونة من قميص حريري رمادي وبنطلون ، وكان من الممكن بسهولة أن يعتبر أحد ضيوفها ، وعلى أية حال فقد ظل في الخلف محافظا على الأصول ، ومع ذلك

فقد أخذت صديقاتها الفتيات في الحال يحمن حوله تجذبهن نظراته السوداء العميقة كما يجذب العسل النحل ولكنه صدهن بدبلوماسية محاولا أن يعطي انطباعا بأنه يفعل ذلك رغم أنفه .

ضايقها أن "باري دافينبورت" لم يظهر وحدثها تليفونيا قبل تقديم العشاء قائلا :

إن شقيقته وصلت دون سابق إنذار من نيويورك وأنه مضطر أن يقضي الأمسية معها في اليخت . أرسل لها قبلة عبر الهاتف وهو يقول :

– سأراك في الصباح يا حلوتي وفي الوقت نفسه أرجو ألا تندفعي مع أحد منافسي .. هل تفعلين ؟

سألها "راينر" عندما عادت للشرفة حيث مدت المائدة .

– أهناك أنباء سيئة ؟

أجابت باختصار وهي تبتعد عنه بسرعة كي تأخذ مكانها على رأس المائدة : – ليس هناك ما تشغل به بالك .

انتهت الحفلة بعد منتصف الليل ، وعندما ودعت آخر أصدقائها عند مدخل الطريق نظرت حولها بحثا عن السائق كي تشكره على سلوكه الممتاز ، وعلى كل حال فهي تؤنبه عندما يضايقها ، وتمدحه عندما يسرها . ولكنها لم تره في أية جهة لأنه عندما قرر أنها في أمان بالنسبة لبقية الليل فقد توجه إلى السرير لينام وفعلت مثله حيث نامت في الحال كالقتيلة ما إن لمست رأسها الوسادة .

أيقظتها رائحة القهوة الشهية وفتحت عينيها بكسل عندما وضعت "ماريا" صينية من الفضة عليها القهوة والكرواسان على الكومودينو بجوار السرير . توجهت نظرات "شارلوت" في الحال إلى الساعة الذهبية بجانب السرير، ثم رمشت في دهشة عندما وجدت الساعة العاشرة لأنها نادرا ما كانت تنام إلى وقت متأخر تثاءبت وقالت :

– لابد أنني تناولت الكثير من النبيذ . أجابتها "ماريا" بألفة من عمل عندها أكثر من خمس سنوات :

– أو رقصت طويلا ؟.. لقد راقبتك من نافذة غرفتي ورأيت أنك لم تجلسي ولو

لدقيقة واحدة .. من يا ترى كنت تحاولين التأثير عليه ؟

– أجابت "شارلوت" بضيق :

– لا أحد .

لم يكن من المفيد أن تعترف بأنها كانت تحاول التأثير على سائقها . كان من غير المجدي أن تعترف بذلك حتى لنفسها عندما جاء ضوء الصباح . واصلت الحديث :

– لم يستطع السيد "دافينبورت" الحضور وبقية الرجال كانوا مجرد أصدقاء

سألتها "ماريا" بصراحة الفرنسيين .

– لماذا إذن دعوتهم ؟

– لأنهم أفضل الشلة المملة .

امتعضت المرأة غير موافقة وخرجت .

عندما نزلت "شارلوت" أخيرا إلى حمام السباحة كان "باري" هناك . كان في الثامنة والعشرين من عمره متوسط الطول جذابا جاذبية الرجل الأمريكي ، وكان رياضي البنية حاد التقاطيع أشقر الشعر ممشوق الخصلات . كان وريثاً لثروة من صناعة الصلب مظهره أكثر من عقله وإن استغرقت وقتا طويلا حتى تكتشف ذلك لأنه كان يخفي افتقاره إلى الذكاء خلف استعداده لتذكر وتلاوة ما يقوله الآخرون ، ولو لم يكن هناك علاقة بين عملي والدها ووالده لكفت عن لقائه من وقت طويل .

قالت له بعد أن حياها بقبلة :

– لماذا لم تحضر شقيقتك معك . أم أنها ما زالت متعبة بعد رحلة الطيران ؟

– إن "لوسي" لا تشعر أبدا بالتعب من السفر بالنفاثات . لقد خرجت للتسوق في "نيس" حيث إن هذا هو شغلها الشاغل .

لمحت "شارلوت" بطرف عينها "مارك راينر" يجلس خلف مجموعة من الأشجار على الجانب المغطى بالعشب لمنطقة حمام السباحة . لوحت له كي تخبره أنها اكتشفت مخبأه ، ثم بعد أن أحست بالرضا عن نفسها ركزت انتباهها على "باري" .

كان "مارك" مدركا للسبب الذي من أجله لوحت له وقد سره ذلك . لو كان يريد حقا أن يظل مختبئا لاستطاع أن يفعل ذلك بسهولة ولكنه أراد أن تكون على علم بوجوده، ورغم أنه كان يشك في قيام محاولة لخطفها سواء من منزلها أو من الضيعة فقد رغب أن يظل بالقرب منها.أعد نفسه للمكوث مدة طويلة . لقد مضى وقت طويل منذ أن عمل في أعمال الحراسة ، ومن الواجب عليه أن يتذكر الأخطار التي ينطوي عليها هذا النوع من العمل . وكبار العاملين في المخابرات أحيانا ما ينسون هذا العمل وما ينطوي عليه من أخطار . لقد كان السير "إلريك" مغرما بتكرار القول :

– قد تكون مشاهد الميكروفونات الدقيقة المخبأة في ساعات اليد أو كاميرات التليفزيون أسفل السرير كلها صالحة لمشاهد السينما . ولكن نجاح العملية غالبا ما ينبع من المكوث في الموقع أربعا وعشرين ساعة يوميا والبحث في أدق التفاصيل كفحص أسنان مشط دقيقة وعدم ترك أي شيء للمصادفة .

فكر "مارك" حسنا لاشك أنني أتبع التعليمات وبمرور الوقت ستنتهي هذه المهمة.

سأعد كل شعرة فوق رأس "شارلوت بوفيل" ، أخذ يدقق النظر إلى أسفل "ياله من شعر جميل ! راقبه "راينر" ومع ذلك فمن المستحيل ألا يدرك المرء مدى جمالها وهي تتقلب فوق المرتبة الزرقاء وياله من أمر سهل أن يتخيل نفسه يجمعهما بيت واحد، كان يشك في أنها مازالت عذراء ، ولقد مضت سنوات عدة منذ أن قابل واحدة كذلك ، ومع ذلك أحس أنها تبدو وكأنها لم يمسسها أحد ، وكأنها لم تعرف عاطفة ممارسة الحب . يالللتعاسة وسوء الحظ ! إنهما لم يلتقيا في ظروف مخالفة التوى فمه الحاد وهو يفكر "كم سيكون الأمر مسليا لو ... "

حذر نفسه ثانية بأن يقف التفكير في الأمر ، لأنه كان يعلم أن من المهم أن يبقى ذهنه صافيا ، وهذا يعني أن تظل عواطفه وأحاسيسه تحت سيطرته ، وألا يحلم بطرق إثارة تلك الفتاة ذات النهدين المثيرين والجسد الملفوف . لقد كانت "شارلوت بوفيل" بمثابة مأمورية مكلف بها ويجب ألا ينسى ذلك .

عند طرف حمام السباحة نشط كل من "شارلوت" و"باري" ثم هبطا الحمام وأخذكل منهما يسبح ويلعب ويمرح .تعبا بعد مدة واستلقيا على المراتب حتى

موعد تقديم الغداء كانت الموسيقى صاخبة ولكنهما لم يعيراها انتباها وأخذا يثرثران بحيوية ليس هناك ما يعادل ما يجري أمام عيني "مارك" الذي نظر إليهما بحسد .

كان اليوم بالنسبة له طويلا مملا، وأحس بالسرور عندما أخذ الشابان يجمعان أشياءهما وغادرا حوض السباحة .

كانت "شارلوت" مدركة باستمرار مراقبة "مارك راينر" لها وعندما مرت بمجموعة الأشجار التي كان يختفي خلفها نادت عليه .

– يمكنك الحضور الآن يا "راينر" إنك بحق مثال لتحمل الصعاب وأنت جالس هناك لساعات طويلة في هذه الحرارة . إن السيد "دافينبورت" قادر تماما على حمايتي .

ظهر "راينر" وهو يقول :

– إنني معتاد على الحرارة يا آنسة .

– قد تكون كذلك .. ولكن الأمر ليس ضروريا ثم استدارت ناحية "دافينبورت" وقالت :

– هذا هو "مارك راينر" – سائقي الجديد . قال "باري" :

– هاي : لقد أخبرتني الآنسة "بوفيل" بأنك غطاس ماهر . ما رأيك في عرض ؟

قالت "شارلوت" بسرعة :

– لقد ذكرت ذلك فقط عندما ناقشنا طريقة قفزك للماء . ليس "راينر" في مهارة الدرفيل الاستعراضي ولا هذا بحر المغامرات تدخل "باري" في الحديث :

– بالتأكيد .. وإنما هو بحر المستقبل .. لقد استغرقت عشر دقائق حتى استطعت الوصول إلى البوابات الأمامية لقد كان الكمبيوتر الخاص بكم عاجزا عن التعرف علي ، اعتذر السائق .

– أعتقد أن الغلطة غلطتي، لقد ضغطت على الزر الخطأ ، وقد اختلط الأمر على أجهزة الأمن .

قالته "شارلوت" .

– من أعطاك الإذن بالدخول في حجرة الكمبيوتر ؟.

– لقد أراد والدك أن أتعرف على كل مظاهر الأمن وأجهزته بالمنزل وفي الضيعة .

– لم يذكر ذلك لي أبدا .

– لقد قرر ذلك عندما اتصل بي هذا الصباح.

– رددت قوله وهي دهشة هل اتصل هذا الصباح ؟

– نعم : كي يخبرنا بأنه سيترك "روما" متجها إلى "نيويورك" حيث من المتوقع أن يظل هناك لمدة أسبوع .

سألته "شارلوت" :

– لماذا لم يكلمني ؟

– لقد كنت نائمة ولم يرد إزعاجك .

تدخل "باري" بنفاد صبر قائلا .

– هيا يا عزيزتي "شارلي" .. أين المشروب الذي وعدتني به ؟

هزت "شارلوت" كتفيها واتجهت ناحية الفيلا بينما عاد "راينر" إلى خلف الشجيرات استمر "باري" في حديثه قائلا :

– لقد ظننت أننا سنتناول العشاء هذا المساء في مطعم "فلامنجو" .هناك فرقة جديدة من المفروض أنها ستلعب هناك ويقولون إنها مثيرة. نظرت "شارلوت" ناحية السائق وهي تقول :

– يبدو أن هذا أمر رائع هل لي أن أحصل على إذن منك للذهاب ؟

قالت هذه العبارة الأخيرة وهي تنظر إلى السائق الذي رد :

– دون شك يا آنسة "بوفيل" سأقود سيارتك إلى هناك .

– ليس هناك ما يدعو لذلك فالسيد "دافينبورت" سيقوم بذلك .

– إن أوامر والدك هي التي تلزمني بضرورة الذهاب معك إلى أي مكان تذهبين إليه .

تدخل "باري" قائلا.

– لا تجعل من الحبة قبة – إنني أعلم تماما كيف يشعر والدك .. إذا حصلت

على ماسة وجب عليك حراستها .
قاطعته "شارلوت" :
- لست مجرد شيء . أنا إنسانة تذكر هذا ؟
- كيف لي أن أنسى ؟
وضع "باري" ذراعه حول وسطها ، وعاد "باري" للخلف مما جعل "شارلوت" تحس بخشونة يد "باري" على جلدها .
- لا تفعل يا "باري" قالتها وهي تحرر نفسها منه وتسرع في السير .
- ألا ترى أنك تحرج "راينر" ؟
- من الأفضل له أن يتعود على هذا إذا كان سيتبعنا أينما ذهبنا .
لم يقل "راينر" شيئا ، ولكن "شارلوت" كانت مدركة أنه سيبقى في الشرفة عند دخولها حجرة المعيشة . أحست رغما عنها بالأسف تجاهه . إن القيام بدور العجلة الثالثة في يوم حار ليس من المهن المسلية سألت "بارى" :
- صب كأساً كبيرة من أجل "راينر" .
- بحق السماء يا "شارلي" لا تبدئي في معاملته كصديق .
- سأعامله بالطريقة التي أختارها .
غمغم "باري"
أتعنين معاملة مرتجلة كصديق عابر .. إنك حقا أكثر الفتيات تناقضا في العالم كان من الممكن لو علم بأفكارها أن يعتبرها أكثر مما ظن خاصة عندما ذهبت لتغيير ملابسها من أجل العشاء . لم تكن لتغادر الضيعة لو لم يصر "راينر" على مصاحبتها . إن قضاء يوم كامل مع "باري" أكثر من اللازم حتى بدون قضاء الليل معه، ولكن هذا السائق الملعون ورطها في الأمر .. جاءت "ماريا" إلى الحجرة بثوبين تم كيهما ونظرت إليهما "شارلوت" نظرة نقد :
- لا أفضل أي واحد منهما ، وأريد شيئا أكثر جذبا للانتباه .
عندما شاهدت نفسها في المرآة بعد ذلك عرفت أن ثوب الحرير بلون الشمبانيا الذي اختارته إنما هو أفضل الاختيارات . التصق قماش الثوب بكل خط من

جسدها وأبرز كامل صدرها .
وكان اللون مشابها تماما للون بشرتها حتى ليصعب على المرء تحديد ما هو الثوب وما هو جلدها . مشطت شعرها بالفرشاة طويلا حتى أخذ يتوهج كاللهب ثم أسدلته على أحد جوانب وجهها وأظهرت إحدى أذنيها جميلة التكوين يتدلى منها حلق مرصع بالزمرد .
أخرجت لسانها لنفسها في دلال وابتسمت عيناها الخضراوان بلون أشجار الغابة تحيطهما رموش شديدة السواد .
كان الخادم الماليزي "كاي" يتمشى أمام الباب الأمامي عندما نزلت السلم وابتسمت له وسألته :
- هل سيارتي منتظرة .
أومأ لها بالإيجاب ثم خطا للخارج . كان "مارك راينر" يقف بجوار السيارة الفيراري السوداء المحصنة ضد الرصاص ، وقد أمسك الباب الخلفي المفتوح من أجلها ، أدهشها أنه كان يرتدي زي السائق الرسمي إنها لا تستطيع أن تفكر فيه كموظف . دخلت وجلست على المقعد الأمامي بجواره .
أخذ مكانه بجانبها في صمت وقام بقيادة السيارة . كان طريق السيارات أمام الفيلا مضاء إضاءة مبهرة وكانت ظلال الأشجار تنعكس على الطريق وتختفي أمام كشافات السيارة حيث كان "مارك" قد أضاء الكشافات الكبيرة العالية .
كان يقود السيارة بسرعة وكفاءة كما كان يفعل "روبرتس" ، وهذا هو التشابه الوحيد بين الرجلين فعلى الرغم من خدمة "روبرتس" التي تزيد على الثلاثين عاما ، لم يخرج مرة واحدة عن حدوده ، كان صديقا ولكن باحترام، ووفيا لا يشكو أبدا . كان يمثل التابع الأسري المثالي . لقد كان "راينر" في الحقيقة أكثر قربا من جيل "شارلوت" ولكن هذا لم يغفر له مسلكه كرئيس ونقص الفرق الاجتماعي بينهما ولا مظهر التعالي الذي لا يمكن إخفاؤه .
استدارت نصف استدارة كي تفحصه . كان وجهه في الوضع الجانبي أكثر وضوحا من حيث القوة نتيجة خط الفك وتشكيل فمه الحاد . كان رأسه جميل

التشكيل أيضا وكان شعره الكثيف الداكن قد أحسن قصه وحتى وهو في زيه الرسمي بدا عليه مظهر الأناقة . سألته وقد لاحظت أنه فك الزر العلوي :

– هل سترتك غير مريحة ؟

– قليلا .

– اطلب بنفسك نمطا آخر إذن ، ماذا تفضل ؟

– أفضل سترة أقل ضيقا .

– في الصيف لم يكن "روبرتس" يلبس السترة في أثناء النهار ويسعدني أن تفعل مثله . – شكرا يا آنسة .

أنبته قائلة :

– مازلت تناديني يا آنسة ؟

قال بصوت ناعم :

– لم تتح لي أية فرصة ؟ .

كتمت "شارلوت" ابتسامة .

– لا أستطيع أن أمنع نفسي من التهكم يا "راينر" ، أما بالنسبة لزيك الرسمي فيمكنك في المساء ارتداء سترة من التيل بشرط ألا تكون بيضاء . لا أريد أن يخطئ الناس فيعتبروك ضمن حرس الشرف .

– بالتأكيد .

استقرت على ألا تزيد من إغوائه فقالت وهي تدردش .

– هل لك حبيبة يا "راينر" ؟

– ليس الآن .

– ولكنك ستحتاج إلى وقت راحة وعليك أن تخطرني بذلك عندما تحتاج إليه . إنني لم أقصد عندما قلت لك إنك حر حسب راحتي .

– لقد فهمت هذا يا آنسة "بوفيل" إنك ووالدك تتمتعان بسمعة طيبة ومعاملة العاملين عندكم باحترام .

– شكرا .

قالت ذلك ثم أسندت ظهرها للخلف وأخذ يقود السيارة من "الانتيب" حتى "نيس" دون تبادل أي حديث بعد أن ذكرته :

– سنأخذ السيد "دافينبورت" من يخته من ميناء "انتيب" .

– اسمحي لي أن أغير هذه الترتيبات يا آنسة "بوفيل" وأعتقد أنه من الأسلم لك أن تقابليه في المطعم فإن الميناء منطقة مزدحمة للغاية .

سألته بسخرية

– هل تعتقد أن الخاطف سيقبض عليّ ويحملني بعيدا في قارب سباق ؟

– هذا محتمل .

– لابد أنك شاهدت الكثير من أفلام "جيمس بوند" .

– لو قرأت الصحف لعلمت أنه في هذه الأيام لا فرق هناك بين الحقيقة والخيال لا تغضبي مني . إنني أفكر فقط في سلامتك .

– هل عادة تخلص في عملك لهذه الدرجة ؟

– نعم ..

ثم ضغط دواسة البنزين بعنف .

صرخت :

– ليس بهذه السرعة العالية .

– هل يشغلك الأمر ؟

– ليس بالضبط . ولكن سيؤدي الأمر إلى اضطرار "باري" لانتظاري .

ثم حملقت في "راينر" وقالت :

– أعتقد أنك تظنني سيئة الخلق ؟

– هذا الأمر لا يهمني .

ولكنك لا توافق على سلوكي أليس كذلك ؟ إنك لا توافق عليّ نفسي؟

– إنني أراك واضحة ومسلية يا آنسة "بوفيل" .. سخرت منه .

– لقد نسيت أنني جميلة .

– هذا أمر لا يحتاج إلى القول . إنك واحدة من أجمل وأحب الفتيات اللاتي

قابلتهن .
غيّر عصا السرعة ودون قصد مست يده قميصها . أحست بذلك تماما وحاولت أن تجعل صوتها غير مهتم .
– لو أننا تقابلنا كندين يا "راينر" هل كنت تطلب مني موعدا ؟
كادت تضحك وهي تسمع صوتها – هي الفتاة التي كان بإمكانها أن تختار أي رجل تريده فوصل بها الأمر إلى أن تسأل هذا السؤال لهذا الرجل وتهتم بالإجابة عنه.
– إنه عذاب ، إذا لم أجب عن السؤال بالايجاب .
– لا أعتقد أنك رجل يحب أن يلعب لعبا آمنا .
– لا ، ولكني أيضا لا أحب اللعب بالنار .
سألته :
– هل يعني هذا أنك سبق أن احترقت ؟
صحح لها :
– لسعتني النار .
– هل كان هذا من امرأة كنت تعمل لديها ؟
– لا . لقد سبق أن أخبرتك أنني ألتصق بنفس نوعي، وإذا غفرت لي صراحتي فعليك أن تحذي حذوي . إذا كنت قد مللت السيد "دافينبورت" فإنني واثق أن هناك العديد من البدلاء المناسبين يحومون حولك .
عرفت "شارلوت" أنها صدت، ولكن لمعرفتها إنها تستحق هذا لم تقل شيئا أخذت تفكر في البديل المناسب الذي أشار إليه "راينر" وأطلقت آهة حارة . كان أغلب أصدقائها من نفس نوعية "باري" ، وكانت قد أصيبت باليأس من مقابلة الرجل الذي يحقق أحلامها التي كانت تداعبها . لم توثق صلتها أبدا بأي شخص . قالت بصوت عال :
– أخشى أن تكون قد أسأت فهم سؤالي يا "راينر" إنه مجرد فضول . أما بالنسبة لك كرجل فإن انجذابي نحوك لا يزيد عن انجذابي لغوريلا .
رأت فمه المزموم بحدة على ضوء كشافات سيارة قادمة في الاتجاه العكسي

وعرفت أنها أغضبته ، ولكنه عندما تكلم كانت لهجته عادية .
– إنه لأمر لطيف أن أعرف مكانتي عندك يا آنسة "بوفيل" .
ثم هدأ السرعة وانحرف إلى طريق يقود إلى ممر رملي لمطعم فاخر .
أعلن عندما أوقف السيارة :
– الفلامنجو" .
رأت ذراعه تتحرك تحت سترته عندما قفز خارج السيارة واستدار كي يفتح لها الباب. أخذ يحملق في اليمين واليسار حيث فحص بمهارة المنطقة وقام بتغطيتها بجسمه حتى خطت الخطوة الوحيدة التي قادتها إلى الداخل .
– أستطيع أن أرى ما تفعله يا "راينر" إنك حارس حقيقي .. ألست كذلك ؟ لست سائقا على الإطلاق !
أخذت تحملق في عينيه ، رأت أنهما كبحيرة عميقة من اللون الرمادي الغامق ثم عرفت باقتناع فجائي أنه رجل كثير الأسرار . فاجأته بالسؤال :
– لا تحاول أن تخترع كذبة .. لست غبية .
– إنني مدرك لذلك يا آنسة "بوفيل" انخفضت رموشه للحظة .
– اطلبيني إذا احتجت إلي ، لن أكون بعيدا عنك
– همست : لن تكون .ثم سارت ناحية "باري" الذي رحب بها مبتسما .

الفصل الخامس

راقبت "شارلوت" "باري" عبر المائدة وكتمت رغبتها في التثاؤب . لم يكن قد مضى من الأمسية سوى نصفها إلا وأصبحت مثالا للملل . نظرت بتلصص في ساعتها وتساءلت عن أقرب موعد تستأذن منه بالرحيل دون أن تثير الضيق .
فكرت ماذا يفعل "راينر" ؟ لقد كانت غاضبة منه عندما تركته ولم تتمكن من أن تخبره أنه عندما تتعارض واجباته مع وقت تناول الطعام فله حرية الحصول على ما يأكله وأن يضيف الحساب عليها . ابتسمت لنفسها فقد يكون من

الأفضل أنها لم تقل له ذلك وإلا لحجز لنفسه مائدة بجوار مائدتها .
نظرت في ساعتها مرة ثانية ثم نظرت - لـ (باري) وغمغمت :
- إن الوقت متأخر وأريد أن أعود إلى المنزل .
- لا تكوني بلهاء يا "شارلي" إن الليل مازال في أوله لقد فكرت أن نذهب إلى مكان ما ونرقص . هناك ناد جديد في "سانت توباز" .
- متأسفة يا "باري" . أفضل ألا نفعل . إنني متعبة للغاية ولا يمكن أن نذهب كل تلك المسافة .
- لن تقودي السيارة يا حبيبة القلب بل أنا - ذكرته قائلة :
- لدي سيارتي وسائقي هنا .
- أرسليه إلى المنزل ، وأنا قادر على القيادة .
- لا لست بقادر ، لأنك سكران .
ظهر الألم على "باري" وقال :
- لم أشرب سوى زجاجة نبيذ فقط ، وأستطيع أن أتناول ضعف هذه الكمية ولا أتأثر . لقد تعودت على ذلك .
قالت له بجفاء :
- هل أنت فخور بذلك ؟
أشار بإصبعه نحوها :
- حسنا ! لست خجلان .. وعلى أية حال ماذا عنك ؟ إنك تتصرفين كزوجة مشاكسة .. يا لها من فكرة عظيمة .. لماذا لا نجعل الأمر حقيقة ؟ ستجعلينني أسعد فتى في العالم إذا قلت نعم .
اغتصبت ابتسامة لتهدئته .
- أخشى ألا أوافق . إنني مغرمة بك يا "باري" ولكن ليس لدرجة أن أتزوجك
- هل تفكرين أنني أجري وراء مالك ؟
ثم أخذ صوته في الارتفاع حتى أن رئيس السقاة أخذ يقترب بهدوء .
- قد لا أمتلك الكثير مثلك .. ومن لديه مثلك ؟ ولكن لدي ما يكفيني كي لا أحتاج إليك .

أخذت تسترضيه :
- أعلم ذلك ، وليس لهذا السبب رفضت ولكن لأنني لا أحبك .
سألها بعدوانية بسبب الكحول :
- لم لا ؟ العديد من الفتيات يفعلن ذلك ولكنك أنت فقط التي تصعبين الأمور للفوز بها .
- لست أناور .. إنه من الصعب الفوز بي ، بل من المستحيل إذا كان الأمر يخصك .
دفعت مقعدها للخلف ونهضت ثم استدارت وأومأت بلا اهتمام لكبير السقاة الذي خطا ليفصل بينها وبين "باري" عندما حاول تتبعها وقال له بهدوء :
- إنك لم تدفع الحساب يا سيدي !
- أنت تعرف من أنا . أرسل الحساب إلى اليخت .
- أسف يا سيدي .
هربت "شارلوت" دون أن تنتظر لتسمع المزيد ، وخرجت من المطعم ولم تفكر فيما ستفعله إذا لم تجد سيارتها بالخارج ، ولكن في هذه اللحظة كان "راينر" بجوارها .
- هل هناك خطأ يا آنسة "بوفيل" ؟
- نعم .. لا .. أريد فقط أن أرحل . أحاط بها لحمايتها كما سبق أن فعل ثم اصطحبها حتى السيارة الفيراري ودون أن يسألها فتح الباب الأمامي وانتظر حتى دخلت وجلست على المقعد المجاور له .
استغرقت في أفكارها وكلها مركزة على "باري" وعما إذا كانت قاسية وحادة معه . لم تتكلم "شارلوت" إلى أن أحسا بأنهما يغليان من الحر على طول طريق الشاطىء :
- شكراً لله أنك كنت في انتظاري يا "راينر" . كنت سأواجه مأزقا كبيرا فيما لو خرج "باري" ولحق بي .
- لقد كنت بالخارج طوال الأمسية .
- وماذا عن طعامك ؟

– لقد تعودت أن أظل ساعات طويلة دون طعام .

– ستسبب لنفسك زائدة دودية كما يقول لي والدي دوماً . دعنا نتوقف ونشتري لك سندوتشا .

– لا داعي لذلك ، إنني متأكد أنني أستطيع أن أستمر حتى المنزل دون أن أنهار ، ضايقتها رنة السرور في صوته . لقد كانت في هذه اللحظة مقدرة للظروف وها هو ذا يلهو بها ثانية .

– حسنا ! إذا لم تكن أنت جوعان فأنا جوعانة . بدت عليه الدهشة .

– ألم تتناولي عشاءك وتتمتعي به؟

– ليس كثيرا لقد شرب السيد "دافينبورت" كثيرا وشعرت بالملل وفقدت شهيتي.

– فهمت .

ساد الصمت وأحست "شارلوت" أنه يصارع نفسه كي يقول ما يريد قوله .

– هيا يا "راينر" . ماذا يدور في ذهنك ؟

تجهم في وجهها وقال :

– مادمت قادرة على قراءة أفكاري . فأخبريني ما هي ؟

ابتسمت وقالت :

– إن قوة استنتاجي تذهب فقط إلى بعيد . هيا . بح بها .

– إنني أتعجب وأتساءل هل أنت دائما تحسين الملل في كل مواعيدك؟

اعترفت قائلة :

– غالبا .

– هل فكرت في توسيع دائرة أصدقائك ؟

– كثيرا . ولكن الأمر ليس ببسيط إذا ما ولدت وتربيت وسط زمرة فريدة وضيقة، مالت إلى الخلف في مقعدها وأسندت رأسها على جلد المقعد الناعم الطري الأبيض اللون .

– كيف للمرء أن يكسر تلك الدائرة ؟

– ألم تفكري في القيام بوظيفة ؟ إنك حاصلة على درجة جامعية في الفن .

– لقد تعودت تماما على إصدار الأوامر لا تلقيها .

– إنني أفكر في أن تفتحي معرضك الخاص وتحولي هوايتك إلى عمل .

– هذه فكرة جيدة من الناحية النظرية ولكن من الناحية العملية فإن الناس الذين عليّ أن أشرف عليهم وأتعامل معهم هم الناس الذين أود التخلص منهم ، لا يستطيع المرء أن يهرب من عائلته ، وعائلتي هي أموال "بوفيل" . إنني ملتصقة بها .

ظلت مستندة برأسها على مسند المقعد وأخذت تتفحص الرجل أمام عجلة القيادة ، كان قد خلع سترته وقد بدت عضلاته البارزة قوية تحت قميصه ، ومن الغريب أنها أدركت تماماً قوته الجسمية أكثر مما رأته عندما كان نصف عار عند حمام السباحة . استمرت في الكلام :

– لهذا كان والدي قلقا بشأن الرجل الذي أواعده . كان يأمل أن أتزوج رجلا قادراً على متابعة خطواته .

– من الصعب تحقيق ذلك .

– أنت على حق .. لا يوجد أحد منهم يساوي عُشر مقدرته .

– إنك مازلت في الثانية والثلاثين يا آنسة "بوفيل" وأمامك وقت طويل لمقابلة الرجل المناسب .

– المشكلة أنه قد يقيم حريته مثلك يا "راينر" ألم تقل لنفسك يوما إنك لن تتزوج أبدا امرأة من أجل مالها ؟

– الرجل الصحيح لن يتزوجك من أجل مالك بل بعيدا عن مالك .

أعادت قوله :

آه الرجل الصحيح .. ولكن أين هو ؟

حرك "راينر" ذراعه :

– في مكان ما خارج هذه المنطقة .. استمري في البحث عنه .

تلألأت أنوار "الانتيب" أمامها واعتدلت "شارلوت" في جلستها .

– دعنا نتوقف في المدينة لنتناول أكلة خفيفة ، إن ميدان "ديجول" يكون غيرمزدحم في هذا الوقت ويمكننا أن نركن السيارة ونتمشى .

كانت إجابة "راينر" أن زاد من السرعة ولم يهدىء منها إلا بعد أن تجاوزا ميدان "ديجول" بمسافة كبيرة . جلست "شارلوت" مستقيمة ، « اللعنة على هذا الرجل . أعطيه بوصة فيأخذ مني ميلا » قالت :

– قف يا "راينر" .

– سأكون أكثر سعادة لو ذهبنا إلى مكان آخر يا آنسة "بوفيل" .

– لماذا ؟

– إن "الانتيب" هادىء جدا بالليل وأفضل "جوان ليبان" .

فكرت في كازينو "جوان" وصخبه وهياجه ليس هذا ما تحبه ، وساعها أن يكون هذا ما يحبه . شرح لها الأمر .

– إنه أكثر أمنا أن نجد أنفسنا بين الناس .

– لقد قلت العكس عندما كان علينا أن نلتقي بـ "باري" بعيدا عن الميناء .

ما هو الفرق ؟

– وجود الطرق البديلة للهرب .

لقد أصبحت موسوسا مثل أبي ، هناك العديد من المراقبات خلفي ، وهذا الامتداد من شاطىء البحر مزدحم بالأميرات العربيات ونجوم السينما والمليونيرات ، لماذا بحق السماء يرغبون في اختطافي ؟

– لأنه من المعروف والمنشور أن والدك يعبدك وأنه على استعداد لدفع أي مبلغ لاستعادتك .

– هو ليس فريدا في هذا ، فأي أب أو زوج في هذا الموقف يمكن أن يفعل نفس الشيء .

وضعت يدها على عصا السرعة .

عد ثانية إلى "الانتيب" يا "راينر" إن "جوان" فظيعة في موسم التصييف .

– هل "جوان" أم الفيلا ؟

صرخت :

– إذن الفيلا .. وأكثر من هذا يمكنك أن تحزم أمتعتك وترحل في الصباح ..

هدأت السيارة من سرعتها وحملق "راينر" فيها :

– إنني مهتم فقط بسلامتك يا آنسة "بوفيل" وسيسعدني لو اعتبرت سلوكي بعيداً عن الجفاء .

– هل أنت تعتذر ؟

رأت أصابعه تضغط بشدة على عجلة القيادة . وأخذت تنتظر وهي تتوقع إجابته .

– نعم .

– إذن سنذهب إلى "جوان" . هناك مكان مسلٍ عند الركن بالقرب من الكازينو حيث يصنعون سندوتشات رائعة .

تنهد بارتياح .

– لم أقابل في حياتي شخصا يغير مزاجه بسرعة مثلك .

– إنها خصلة ورثتها من أمي لأنها أيرلندية .

– هذا يفسر الكثير .

– ماذا تعني ؟

– إنك تضايقين وتؤلمين ، وحتى تثيري الغضب ، ولكنك أبدا لا تثيرين في النفس الملل .

أحست "شارلوت" بالدفء من السرور . من الغريب أن نصف مدح من رجلها يعطيها رضا كاملاً أكثر مما يمنحها الآخرون .

– يبدو أنك تمتدحني يا "راينر" .

– هل يدهشك ذلك ؟

– حسنا . إنك لا تتصدق بهذا عليّ .

– وهذا ليس مكاني .

– وليس مكانك أن تعارض أوامري ومع ذلك لا تكف ، ولدّي إحساس أنك تستخدم المجاملة عندما تناسبك .

– كلنا نفعل ما يناسبنا .

قال هذا عن قصد . عندما اقتربا من مفترق ، نظر في المرآة العاكسة كما تعود أن يفعل طوال الطريق . نظرت "شارلوت" أيضا حولها ولكن لم تكن هناك سيارة على مدى البصر . لم يستمر هذا طويلا حيث ظهر "جوان" مزدحما .

كان ركن السيارة مستحيلا . وأخيرا استطاعا أن يجدا مكانا للسيارة عندما منحت منادي السيارات (حلوانا كبيرا) فضلا عن أنه كان يعرفها . قالت بسرعة :

– ليس هناك حاجة لأن ترتدي الكاب والسترة .

– أخشى أن السترة ضرورية .

قال هذا وهو يخرج من السيارة ولمست يده جراب المسدس الذي لا يكاد يظهر . كانت تعلم أنه يحمل مسدسا حاولت ألا تفكر في الأمر ، واستمرت في السير بجواره إلى المقهى الواسع المضاء إضاءة ساطعة في وسط المدينة الصغيرة . كان الشارع مزدحما بالسائحين من جميع الجنسيات ورغم أن الساعة تجاوزت العاشرة إلا أن الأرصفة أمام المطاعم كانت تحتشد بالقادمين لتناول وجبات آخر الليل من المحار ، وسلاطة الثوم ، وحساء السمك وبلح البحر ، والجمبري ، إلى جانب الأطباق المصنوعة من الخشب والممثلة بالسلاطة الخضراء .

استنشقت "شارلوت" رائحة الطعام وتمتعت بالجو المرح الذي يظهر جو الحرية في أن تصبح مثل أي شخص هناك . لم تكن تماما مثل أي شخص عادي طالما كان "راينر" بجوارها يقظا مشدود الأعصاب ويحاول أن يسرع بها إلى المقهى .

وصلا إلى المقهى ساطع الضوء حيث كانت كل مائدة بالداخل أو بالخارج تبدو مشغولة وبعد تبادل قليل من الكلمات مع أحد السقاة حيث دس "راينر" في يده ورقة من فئة الخمسين فرنكا عاد إليها وقال :

– علينا أن ننتظر بضع ثوان .

– لست على عجل ولم يكن من الضروري ضياع نقودك كبقشيش للساقي .

قال لها ببرود :

– لا تشغلي بالك بالأمر .. يمنحني أبوك حسابا إضافيا

للمصروفات .

كتمت أنفاسها . يا له من خنزير مغرور ! ألقت عليه من تحت أهدابها نظرة متفحصة طويلة كم كان جذابا ، الملعون أصبح بالتدريج من الصعب التفكير فيه كمجرد حارس ، ومع ذلك عليها أن تفعل ذلك . إن ارتباطها بعلاقة معه قد يكون عملا غبيا وخطيرا .

قطعت لمسة يده بلطف على كوعها أفكارها وقال لها :

– لقد أصبحت مائدتنا معدة ألقت شعرها إلى الخلف وتبعت الساقي إلى إحدى الموائد بجوار النافذة وعندما جلست أحست بانزلاق وشاحها الكشمير عن كتفيها ، غمغم "راينر" وهو يجلس على المقعد المواجه لها ويشير إلى المروحة الكهربائية الموضوعة فوقهما :

– قد تصابين بالبرد .

– شكرا .

ثم أخذت تفحص قائمة الطعام وقالت :

– ماذا تود أن تتناول ؟

– قدح قهوة كبير ، وفطيرة "كروك موسييه" صحح "مارك" الطلب عندما سجل الساقي .

– اجعله اثنين : إنني جوعان أكثر مما كنت أظن . وماذا عنك يا آنسة "بوفيل" ؟

ثم لمعت عيناه متفكها وأضاف :

– سأقدم لك عشاء كاملا .

– يا له من أمر كريم منك . هل أنت متأكد من قدرتك على الدفع ؟

– بشرط ألا تطلبي "كافيار" .

– لا تخش شيئا ، سأطلب مثل ما طلبت .

كانت ابتسامته لها دافئة بدرجة غير متوقعة وانتظرا الطعام في صمت تسوده

الصداقة والألفة وهما يحملقان في الأرصفة المزدحمة عبر النافذة ، وينصتان لأطراف الأحاديث حولهما . وعندما وصل طلبهما أخيرا أخذا يلتهمان سندوتشات الجبن والمربى بنهم واستمتاع .

سألها بين قضمتين :

– لماذا حتى هذه الأشياء البسيطة طعمها أفضل عندما يصنعها الفرنسيون؟

عندما استعدت "شارلوت" للإجابة أخذت سيارة رياضية حمراء تقف في الخارج ، وقد انطلقت منها ضحكات صاخبة . سقط قلبها في قدميها عندما لوحت لها فتاة سوداء الشعر ثم أخذت تمر بصعوبة بين الموائد متجهة ناحيتهما وأخذت عيناها البنيتان اللامعتان تتنقل بينهما :

– هاي ! "شيرلي" . لقد ظننت أنك تتناولين طعام العشاء مع "باري" .

– لقد فعلت .

كانت لهجة "شارلوت" مقتضبة ، أنهت الموضوع وأخذت نظرات الفتاة تتركز لحظات على "راينر" .

– ألن تقدميني إلى صديقك ؟

تملكت "شارلوت" الرغبة في الأذى .ولكن ماذا تقول عن صديقها الجديد ؟

فكبتت تعبيرها البارد وقالت :

– هذا "راينر" سائقي الجديد .

قالت الفتاة بصوت خرج من زورها :

– أرجو أن تخبريني عندما يصبح غير صالح لك .. إنني أبحث عن سائق لي أيضا .

نظرت "شارلوت" إلى "راينر" نظرة جانبية لترى ما إذا كان قد شعر بالضيق لحديثهما عنه وهما متجاهلتان لوجوده ولكن تعبيره كان عاديا .

مدت الفتاة يدها قائلة :

– من الأفضل أن أقدم نفسي بنفسي مادامت "شارلوت" تبدو مترددة – أنا

"ليلا برجدورف" !

– كيف حالك يا آنسة ؟

لم يكن "راينر" يرتدي الكاب كي يرفعه تحية لها ، ولكن الفتاة أحست بالضيق من محاولته أن يبدو عبدا . تدخلت "شارلوت" في الحديث وقالت ببرود :

– لقد ظننت أنك أتيت لرؤيتي ولم أفكر أن سائقي هو الذي يهمك أمره .

تجاهلت "ليلا" التعليق ووجهت ابتسامة واسعة له .

– من أين أنت ؟

– انجلترا ..

– إنها البلد المفضل عندي بعد الولايات المتحدة الأمريكية . لقد عشت في لندن عندما كان والدي يعمل بالسفارة .

تدخلت "شارلوت" قائلة :

– إن أصدقاءك في انتظارك .

زامت "ليلا" .

– أتحاولين التخلص مني ؟

– يا لك من ذكية أن فهمت !

– لم أفهم أن هذا لقاء خاص . انحنت الفتاة عن عمد ناحية السائق وتعمدت أن تلامسه ولكنه نهض باحترام وانتظر رحيلها .

لم تشعر الفتاة بأي حرج وفردت جسدها وقالت بمكر :

– سأراك فيما بعد .

كانت الكلمات موجهة مباشرة إليه ومع ذلك كانت الفتاة تنظر إلى "شارلوت" التي انتظرت – بنفاد صبر – عودة الفتاة ذات الشعر الأسود إلى أصدقائها .

جلس "راينر" وقال :

– قدح آخر من القهوة يا آنسة .

– لا . شكرا .

لقد ذهب عنها كل السرور الذي كانت تحسه في بداية السهرة التي رغبت بعدها "شارلوت" أن تنتهي . لقد أحست بعدم الراحة لاكتشاف مكانها هنا مع "راينر".

كانت "ليلا" امرأة شائعات فظيعة ، وستقول لكل الناس تليفونياً عن الأمر في الصباح .

دفعت شعرها إلى الخلف بحركة غريبة وسقط وشاحها إلى الأرض وعندما انحنيا لالتقاطه تلامست أصابعهما . أحست في ثوان أن تيارا كهربائياً سرى في ذراعها فسحبته بحدة وأسرعت خارج المقهى .

لم تتكلم إلا بعد أن أخذا الطريق إلى الفيلا :

– إن الآنسة "برجدورف" من أكلة لحوم البشر يا "راينر" ، وأعتقد أنه من العدل أن أحذرك منها .

– أشكرك يا آنسة . لقد لاحظت ذلك .

– من المحتمل أن تطلب الخروج معك . إذا قبلت فلك مطلق الحرية في أن تفعل

– لماذا هذا التغيير . في الليلة الماضية حذرتني من مطاردة الفتيات صديقاتك ؟

– لأنهم في منزلي ولكن ليس يعنيني أن أقرر كيف ومع من تمضي وقتك الحر .

فغر الرجل فمه وقال :

– ليست لدي النية أن أقضي وقت فراغي مع الآنسة "برجدورف" . لدي أمور أفضل من مطاردة فتيات صغيرات وغنيات ومملات .

– هل تفعل ذلك معي ؟

– أنت سبب رزقي ، فاغفري لي وقاحتي ، لوت رأسها بحدة :

– هأنت قد أصبحت مستحيلا مرة ثانية ما إن أعاملك كصديق إلا وتصبح وقحا

– ألا تعنين أنه ما إن أقول شيئا لا تحبينه . ترغبين أن أعرف حدودي؟

قال هذا ، ثم رفع قدمه عن دواسة البنزين حتى كانت السيارة أن

تقف .

– أنت تريدين الأمور على وجهين .

– إنني مدركة كذلك ولكن ...

كيف لها أن تشرح العواطف التي أثارها لديها بدرجة محيرة وهي نفسها لا تستطيع فهمها ؟

قالت بحدة :

– نعم ، دعنا ننسى الأمر .

– لا أظن أن باستطاعتنا ذلك يا آنسة "بوفيل" فقد يحدث الأمر ثانية .

– إذن سيكون من الأفضل لو تركت العمل . عند هذا الحد ، وقف السيارة كلية ، ثم جذب فرملة اليد ووقف موتور السيارة وقال لها بحدة :

– لقد انجذبت إليّ ، ولهذا تريدين مني أن أرحل .

– كيف تجرؤ ؟

– أجرؤ لأن وظيفتي تتعرض للخطر وهي وظيفة عالية الأجر لا أرغب في فقدها .

قذفت الكلمات في وجهه :

– سأدفع لك تعويضا .

– لا أقبل مالا عن عمل لم أؤده .

صمت فترة ثم أكمل :

– ولم أقم علاقة حب مع صاحبة العمل .. ولكن إذا كنت تصرين فسأفعل ذلك كاستثناء في حالتك .

افترضت أنه كان يتفكه إلى أن أحست بالاستهزاء يبدو على وجهه . إنه يعني ما يقول . أحست للحظة ماذا يمكن أن تفعل فيما لو قبلها وداعبها وجرى بكفيه فوق جسدها .

ومع ذلك لو سمحت له بذلك فإنها ستحتقر نفسها في اليوم التالي . كانت في قرارة نفسها تعتقد تماما أن أي علاقة "جسدية" بحتة قد ترضيها .

– إذا لم تستقري على رأي يا آنسة "بوڤيل" فقد يساعدك هذا :

ثم انزلق عبر المقعد وضغط بشفتيه على شفتيها بوحشية .

لم يكن هناك أي حنان في حركته وإنما فقط نية السيطرة عليها . أخذت تضربه ولكنه كان قويا للغاية عنها ، ودفعها عند باب السيارة مما جعل من المستحيل عليها أن تتحرك .

أخذت تقاومه بشدة ولكنه كان أقوى منها .

حاول العديد من الرجال أن يقبلوها بنفس الطريقة ولكنها لم تحس مع أحدهم نفس ما أحست به مع "مارك" الذي كان يرتجف وهمس وهو يبحث عن شفتيها :

– كم أنت لطيفة للغاية .

انتابتها أحاسيس متضاربة وكادا ينزلقان إلى ما لا تحمد عقباه . عندما فكرت في هذه المعلومة تجمدت كل أحاسيسها وحل محلها شعور بالخزي ، لأنها سمحت له أن يتمادى إلى هذا الحد . صاحت وهي تضربه بعنف :

– دعني أذهب .

تركها في الحال وهو يقول :

– لا تخافي فليس لدي نية أن أفرض نفسي عليك بالقوة .

أذهلها ثبات نبرة صوته .

كيف له أن يتحكم في نفسه إلى هذه الدرجة ، بينما كان من لحظات يريد أن يغتصبها ؟

آه لو كان باستطاعتها أن تتحكم في عواطفها بسهولة مثله ؟ كانت لاتزال ترتعد من لمساته ، وجلدها أصابه التنميل من إحساسها بفمه وكفيه .

عدلت من ثوبها بغضب وأحست ببرودة ظهرها الدافىء اللدن وصاحت :

– كيف تجرؤ على أن تلمسني ؟ هل تظن أنه لايمكن مقاومتك ، وأن أنسى من تكون ؟

أحست بالوهن من القوة التي مارسها ضدها وأرادت أن تذله :

– أنت لا شيء .. أنت بلا قيمة . لو كانت قد طمعت في رد فعل على إهانتها له لكانت مخطئة حيث بدت عيناه ذواتا اللون الرمادي الفضي غامضتين غموض ضباب الجبال . علق بجفاء :

– بدا أنك أعطيت الأمر تفكيرا جديا .

– لم أستطع أن أهرب منك .

– لم تحاولي بجدية إلى لحظة مضت ...

هيا انسي الأمر يا عزيزتي "شارلي" .

– لماذا .. أنت ...

هجمت عليه ولكنه أمسك يديها بقبضة من حديد ووضعهما بسهولة إلى جانبها .

صرخ :

– ألا تهتمين بالحقيقة ؟ من اللحظة الأولى وأنت تحاولين اصطيادي .. ماذا إذن تتوقعين مني أن أفعل ؟ أن أخضع لك في الوقت الذي يجب عليك أن تخضعي لي ؟

كان على حق دون شك ولكنها تفضل أن تموت قبل أن تعترف بذلك .

– ألا تعرف متى يمكن خداعك يا "راينر" ؟ أين روح الدعابة عندك ؟

– أنت خداعة بالفعل يا آنسة "بوڤيل" أما بالنسبة لروح الدعابة فهي تهرب مني عندما تتعرض وظيفتي للخطر . أم أنك تتمتعين بأن تمتلكي رجلا يتسول من أجل معيشته ؟

قاطعته :

– إن هذا ضرب تحت الحزام !

– هذا تشبيه مضبوط حيث إنه الجزء الوحيد مني الذي يهمك .

ضحك عندما لاحظ عدم ارتياحها .

– أسف بالنسبة لمضايقتي الثقيلة الفجة ، ولكن الأمر يتطلب منك مجهوداً

مضنيا لترديها إليّ .

– إنك مغرور وواثق من نفسك للغاية لا يستطيع أي شخص أن يخدعك ، قالت ذلك وهي في قمة الثورة وأضافت :

– إنك تظن أنك تعرف كل شيء عني .

جاء صوته كالسوط :

– نعم ، وبصراحة ليس لديك الكثير مما أحبه . أدار المحرك بحركة مفاجئة وضغطت قدمه بقوة على بدال السرعة حتى قفزت السيارة للأمام وأحدثت الإطارات أزيزا عاليا واتجه ناحية الكاب .

الفصل السادس

تقلبت "شارلوت" في نومها لشعورها بعدم الراحة ، وقد أزعجتها أحلامها ، وطوحت ذراعها فاصطدمت أساورها بالمائدة بجوار السرير . استيقظت قافزة ثم ظلت برهة ملقاة بلا حراك . بعد أن أصبحت مستيقظة تماما تمطت وتثاءبت . كان جسدها لينا كجسد القطة . أدارت يدها على الوسادة وحملقت في النافذة . كانت الستائر الحريرية الخفيفة قد خفضت من الضوء الساطع للشمس . هذا يوم جميل آخر ، ولكنها لم تكن تتطلع إليه بشوق بصفة خاصة . بعد الليلة الماضية كانت فكرة رؤية "راينر" تجعلها غير مستريحة بدرجة ظاهرة.

لم يظهر عندما نزلت السلالم الحلزونية بعد نصف ساعة ولا عندما خرجت إلى الشرفة.

كانت الحديقة مشمسة وهادئة ، والهواء منعشا معطرا ، بينما أخذ بستانيان في تهذيب أحواض الزهور .

وقفت برهة وهي تتمتع بالمنظر الهادئ ثم ذهبت إلى حوض السباحة عندما اقتربت رأت "راينر" يسبح فيه بضربات هادئة توقفت وأخذت تراقبه عندما

انقلب على ظهره عائما ، بينما أغلق عينيه من وهج الشمس .

جلست تستريح تحت إحدى الشمسيات ولكنه رآها فانقلب على بطنه وسبح إلى جانب الحوض في ضربات سريعة ، ثم رفع نفسه خارج الماء . أخذت قطرات الماء تلمع على جلده مما يزيد من بريقه الطبيعي ، بينما ارتدى مايوها صغيرا أسود غطى عورته فقط : جاء ثم وقف أمامها وقال :

– صباح الخير يا آنسة "بوفيل" أجابته وقد غطت عينيها بنظارة ذهبية داكنة :

– صباح الخير .

لم يبد عليه أي تأثير ففهمت أن الإحباط الجنسي الذي لاقاه لم يكن له سوى تأثير خفيف عليه ، إما هذا وإما أنه أشبع رغبته في مكان ما ، وأن صدى واحدا لم يؤثر عليه ، لعنة الله على هذا الرجل ! إنه يتصرف كما لو لم يحدث شيء بينهما الليلة الماضية سألته ببرود وهي تلعب نفس لعبته :

– لماذا لم تكن في الشرفة عندما نزلت إليها ؟

– إنك في مأمن تام داخل جدران المنزل حيث إنها جيدة الحراسة .

حملقت في السماء وقالت :

– قد تهبط طائرة هليوكوبتر وتختطفني.

– مستحيل فالضجيج سينبهنا ونستطيع أن نضعك في أمان في الوقت الملائم

سألته بنعومة ودلال :

– سيسليني أن أضع مهارتك موضع الاختبار .

– في المناسبات المزعجة .

– مثل ؟

قال بعدم اكتراث :

– ليست كثيرة . كنت أقود السيارة عبر طريق ريفي وكان ثلاثة من رجال البوليس المزيفين قد وضعوا سدودا على الطريق أمامي لحسن الحظ تعرفت على أحدهم الذي سبق أن قابلته كمهرب مخدرات .

– ماذا فعلت ؟

– أومأت كما لو أنني سأقف ثم زدت السرعة فجأة كالشيطان واخترقت الحصار .

– هل كان ذلك عندما كنت مع السير "إلريك" ؟

مالت "شارلوت" مقتربة منه كي ترى التعبير على وجهه . ضاقت عينا "راينر" الرماديتان وقال :

– هيا يا آنسة "بوفيل" لا تتوقعي مني أن أجيب عليك ، فالسرية هي جزء من عملي .

– إنني سعيدة لأنك مخلص لهذه الدرجة ، ثم فتحت الراديو واستلقت على ظهرها كان وقت نشرة الأخبار . لم يكن هناك أي خبر سار وكان معظمها يدور حول الثورة في "تليجواي" أطفأت الراديو بعصبية سألها "راينر" .

– ألست مهتمة بما يجري في "تليجواي" ؟

اندهشت لأنه يسألها فاعتدلت في جلستها وقالت :

– ولماذا أهتم ؟

– إن والدك يمتلك مصالح تعدينية كبيرة هناك .

– إذا فقدناها كلها فلا يزال لدينا ثروة مثل ثروة قارون ثم مطت شفتيها وسألت.

– هل تظن أن المتمردين سينتصرون ؟ .

– الأمر متروك للحظ وهم حتى الآن منتصرون .. هل ذهبت هناك ؟

– مرتين ولكن لفترة وجيزة لذلك لا أعرفها جيدا . ولكن الثروة يمتلكها ١ ٪ من السكان فقط ، وأعتقد أنني سأعطي صوتي للمتمردين .

قال بجفاء :

– غير أنهم لن يطلبوا أصوات أحد ، فإن كلمة صناديق الانتخاب هي كلمة قذرة عند الدكتاتوريات .

ارتاحت على جانبها مستندة على ذراع .

– هل تهتم بالسياسة يا "راينر" ؟

– بقدر اهتمام أي رجل في الشارع .

– لكنك لست أي رجل أليس كذلك ؟

أنت أكثر بريقا وذكاء عن الرجل المتوسط ، ويمكنك أن تكون رجل مخابرات لأن لديك كل مؤهلات الجاسوس .

تجهم وجهه وقال :

– وما هي هذه المؤهلات ؟

– السيطرة والتوقع وسرعة الملاحظة والجرأة . هل تريد مني أن أستمر ؟

– إذا كان هذا يسليك؟

كانت "شارلوت" تمتع نفسها بالفعل .

– أوه إنها تسليني جدا . أخبرني هل لديك جهاز إرسال لاسلكي في أذنك أو كاميرا دقيقة مركبة في الساعة ؟

– هذا ذكاء منك أن تخمني هذا .ثم رفع معصمه ليريها ساعته "الرولكس" وقال وهو يطرق بإصبعه بلطف على زجاجها .

– إذا رأيتني أفعل هكذا فهذا يعني أنني أرسل إشارة لتفجير قنبلة غاز أعصاب ! ولدي ألاعيب أخرى أيضا ، ولكني لن أفصح عنها .

– كان من الواجب عليك أن تستخدم غاز الأعصاب الليلة الماضية : أفلتت منها تلك الجملة رغما عنها ولعنت لسانها الذي أفلت منها .

قال "راينر" ببرود .

– أفضل أن تكون المرأة ملتهبة العاطفة وليست بلا شعور .

– على المرأة أن تكون بلا شعور حتى تستسلم لك .

– كل بمزاجه .

– هذا أصدق ما قلته يا "راينر" وعليك أن تتذكر هذا جيدا .

جز على فكيه ، وسرها أن هجومها جاء في محله وإن كانت في قرارة نفسها أحست بمدى حذلقة ملاحظتها . في هذا العصر وهذه الأيام من المهم أن تصنع نفسك أكثر من أن تعتمد على وضعك الاجتماعي ، وبحق السماء لقد كان جداها لوالدتها فلاحين ولوالدها بقالين.حذرها "راينر" قائلا :

– لديك زائر .

ثم نظر وراء كتفيها بينما استدارت برأسها لترى "ليلا" تقترب فقالت :

– لست أنا المقصودة وإنما أنت الذي من أجله جاءت لتراه .

– إذن فهي تضيع وقتها .

– هذا ما أوضحته أمس ، أما اليوم فمختلف ، والعديد من الرجال لا يستطيعون أن يقاوموا الهجوم المباشر لـ"ليلا" .

– وحتى لو كان هجوما شاملا فلن تستطيع إغرائي .

ورغم أنها سرت لرده إلا أن "شارلوت" كانت متشككة في حقيقته:

– ستستمر في الهجوم عليك.

– أفترض أنه لابد أن لها ميزة ما دامت صديقة لك . أجابت "شارلوت" :

– إنها ليست صديقتي، لدينا العديد من الأصدقاء المشتركين وكثيرا ما نلتقي لقاء عابرا .

أخذت تراقب "ليلا" وهي تقترب . كان جمالها الصارخ الذي برز أمس بطريقة دعائية عن طريق ثوبها القصير أصبح أكثر ظهورا في ضوء النهار . كانت ترتدي قطعتين من القماش الأبيض تغطيان – فقط – صدرها واستدارة عظمة الحوض . وعندما توقفت عند "راينر" احتكت به بإهمال ضغطت صدرها في ذراعه ولكنه لم يوضح لا بالكلمة ولا بالحركة أنه أحس بذلك . ابتسمت وهي تحملق في الرجل والمرأة وقالت :

– هاي ! أتعشم ألا أكون قد قطعت شيئا!

– نعم كما هي عادتك .

عبست "شارلوت" مما جعل عينيها تتحولان إلى الأخضر الغامق. كذبت عندما قالت:

– كان "راينر" يستعرض آراءه عن الجنس وعن الفتاة غير المتزوجة .

ارتفع حاجبا "ليلا" عاليين :

– حقا ! وما تلك الآراء ؟

قالت "شارلوت" متعمدة :

– كلها آراء عتيقة حقا !

ولكن التهكم غاب عن "ليلا" .

– ربما أستطيع تغييرها .

سلطت عليه كل سحر عينيها .

– أستطيع أن أكون ملحة للغاية ومغرية .

تكلم "راينر" لأول مرة :

– أنا متأكد من أنك تستطيعين ذلك يا آنسة "بيرجدورف" صححت قوله بشبه ابتسامة: – "ليلا" من فضلك ولكني لا أعرف اسمك الأول ، و"راينر" اسم رسمي جدا .

قال متعمدا:

– ليس بالنسبة للآنسة "بوفيل".

– ولكني لست الآنسة "بوفيل" إذن ما هو؟

قالت هذا ثم لمست صدره القوي بأصابعها المطلية باللون البنفسجي .

– مارك الكسندر

هم ! جميل .

قالت "شارلوت" :

– لنأمل ألا يفعل مثل الإسكندر لقد انتهى نهاية مفجعة ، وفي مثل عمر "مارك"

– ولكنه ترك علامة .. هل ستفعل ؟

قالت ذلك "ليلا" بنعومة بينما عيناها تكلمه عن أفكارها الأخرى :

– سأحاول أن أقدم خدمات ممتازة يا آنسة "بيرجدورف" .، حملقت في حوض السباحة وقالت :

– أراهن أنك ستفعل . هل أنت سباح ماهر ؟

– ليس لي أن أقول هذا يا آنسة .

– تدخلت "شارلوت" في الحديث :

– "راينر" يتفوق في كل الرياضات .

ابتسمت "ليلا" :

– يا لحسن حظك !!

– كفي عن التلميحات يا "ليلا" .

تساءلت الفتاة :

– هل أنا أسبب حرجا لك يا "راينر" ؟

– لا يا آنسة . لقد تعودت على التعامل مع كل الأنواع الغريبة من المواقف ،

ساد الصمت فترة وجيزة قبل أن تضحك "ليلا" .

– دعنا نأخذ حمام سباحة يا "مارك" سأسابقك .

– علي أن أنظف السيارة يا آنسة "بيرجدورف" .

– أنا متأكدة أن النظافة يمكن أن تنتظر وأعتقد أننا اتفقنا على أن تناديني "ليلا" صحح قولها بأدب :

– أنت اتفقت ومسألة أن أوافق أم لا ، يرجع للآنسة "بوفيل" .سخرت منه "ليلا" قائلة: – لا شك أنك لن تمانعي يا "شيرلي" .

شعرت "شارلوت" بالضيق لأن "راينر" وضعها في موقف محرج فهزت كتفيها:

– أنا لا أملك سائقي .. أنا فقط أوظفه .

استلقت على ظهرها وأغمضت عينيها في انتظار "مارك".كم من السهل التفكير فيه بهذه الطريقة : تكرار الهروب بدعوى أن عليه أن ينظف السيارة . بدلا من

ذلك سمعت صوت الماء ففتحت عينيها ورفعت رأسها فرأت الجسدين يسبحان في الماء إلاأن عينيها تركزت على جسد واحد : الجسد القوي للرجل . لا غرابة إذن أن تطارده "ليلا". بالنسبة للمال لدى "ليلا" الكثير منه ، ولديه كل شيء يمكن للفتاة أن تشتهيه : النظرات والذكاء وعدم الاهتمام الذي يزيد من الانجذاب الحسي. الكل يدرك بسهولة التحكم البارد الذى يتحكمه في نفسه وتشك أن هناك امرأة واحدة لا ترغب في إذابة هذا الثلج وأن تكتشف الرجل البدائي العاطفي تحت هذا الثلج كما فعلت هي أمس. نادت "ليلا".

– حقا إنك تخسرين الكثير فالحرارة ممتازة .

قالت في نفسها "إن الحرارة أكثر من حرارتي ، فهي ترتفع كل مرة كلما اقترب مني "راينر" ردت عليها :

– لا أشعر بالنشاط الكافي للسباحة ،أعتقد أنني سأتناول القهوة . هل تودين قدحا ؟

– نعم يا عزيزتي ، وبعض الفاكهة أيضا لم أتناول فطوري وأنا جوعانة قالت "شارلوت" :

– هل تريد شيئا يا "راينر" ؟

– عصير الأناناس من فضلك .

التقطت "شارلوت" التليفون الداخلي وأصدرت أوامرها بإحضار المطلوب ، وهي مستمرة في مراقبة "راينر" بركن عينيها وهو يخرج من الحمام . وقف على الحافة وجلده البني يلمع وشعره يكاد يصبح أسود وهو مبتل ثم مد يده لمساعدة "ليلا" على الصعود ، وهي في الحقيقة ليست في حاجة إليها . كان الجسدان قد اصطبغا باللون البرونزي الرائع ، وكأنهما صبغا في برميل واحد ، وتساءلت "شارلوت" هل هو محصن ضد سحر "ليلا" كما يدعي ، أم لا ؟

جلست الفتاة على مسند بجواره ثم مدت يدها إلى حقيبتها واستخرجت زجاجة زيت الشمس وقالت له :

– كن ملاكا وادهن بعض الزيت على جسدي .
قالت ذلك وهي تمد زجاجة الزيت إلى "مارك" وأضافت ! إنني أعاني شدا عضلياً تدخلت "شارلوت" في الحديث بلطف .
– وهل استطعت أن تعومي ؟
– غريب أليس كذلك ؟
لم تقع "ليلا" في الفخ واستدارت "شارلوت" متظاهرة بالبحث عن قطعة قماش وفي الحقيقة كانت تكره رؤية يدي "مارك" على جسد "ليلا" .
سأل "مارك" "ليلا" :
– هل تعملين يا آنسة "بيرج" ؟
كان يحاول الدردشة ، بينما أخذت هي تمتص شريحة ليمون .
– أتعني مثل "شارلي" ؟
رأت "ليلا" "مارك" وهو يرفع حاجبيه .
– ألا تعلم أنها رئيسة مؤسسة "بوفيل" ؟
– ليس لدي أية فكرة .
واجهت "ليلا" "شارلوت"
– لماذا السرية يا عزيزتي ؟
– ليس هذا بالأمر السري ولكن لم تسنح فرصة الحديث عنه .
– يا لك من متواضعة للغاية .
مسحت "ليلا" بأصابعها في الملاءة ثم أعطت انتباهها لـ"مارك" .
– إن الآنسة "بوفيل" تسافر إلى أبعد الأماكن وأفقرها للتفتيش على طريقة استخدام أموالها ، وهي تشبه إلى حدما أميرتك "آن" اعترضت "شارلوت" :
– لا تبالغي .
– أنا لا أبالغ فأنت تعملين عملا جادا .
– كلام فارغ ... إنني أحصل على معاملة خاصة أينما ذهبت ، وبالتالي لا أشعر بالتعب .
– معاملة خاصة في الصحراء والغابات !

لماذا يا عزيزتي ؟ إنني أشك حتى في أنهم يساعدونك . إنك تقومين بعمل كبير ويجب أن تحصلي على شهادة بذلك .
– لا أريد أية شهادة أو دعاية . وعلى أيحال كيف تأتى لك أن تسمعي بذلك ؟

– من أحد رجال الأمن الذي صاحبك في رحلة العام الماضي . لقد باح بذلك في لحظة راحة .
كانت تعرف شغف "ليلا" بالرجال الأشداء وليس هناك صعوبة في معرفة ما الذي كان يرتاح منه . أضافت "ليلا" :
– آسفة لأنني تحدثت في الأمر وكنت أظن أن "مارك" كان يعرف بالفعل لأنه يعمل عندك .
سأل "مارك راينر" عندما اختفت "ليلا" كي تضع البودرة على أنفها بعد لحظات
– هل هناك أي سبب دعاك لعدم ذكر الأمر يا آنسة "بوفيل؟
لماذا تتكرين أنك تعيشين حياة شاقة ؟
أجابت بصدق :
– لأن الحديث عن أعمالي يقلل من قيمتها .
– فهمت .
أوضحت نبرة صوته أنه فهم بالفعل وأنه فهم أيضا من أشياء أخرى لم تفعلها ، كان من المستحيل معرفة وظيفته وهو بلباس السباحة وعندما ارتدى ملابسه أصبح سائقا بكل المعاني ويمكن أن يكون طبيبا أو جنديا حسب ما يرتديه أو حسب الدور الذي يطلب منه أن يؤديه . فقط عند خلع ملابس العمل يستطيع المرء أن يرى "مارك راينر" الحقيقي : كان رجلا طويلا له وجه نحيف متماسك لايعبر عن أية أفكار . كان وحيدا يهب حياته من أجل المال ، كي ينقذ حياة الآخرين .
شاهدته دون توقع يرقد كالميت عند أقدامها على الأرض . صدمها القلق عليه كم ستكون خسارة جسيمة لو كان قد مات ، رمشت بعينيها بسرعة ثم تخيلته منحنيا عليها وقد بذل حياته في محاولة إنقاذها .

– هل تشعرين بالمرض ؟ ! إنك تبدين شاحبة

– إنني بخير .. إنني ...

تخيلت أنها تهمس في أذنه

صاحت "ليلا" وهي تجري للخلف وقد ارتدت سترة فضفاضة من القطن أظهرت ساقيها ، ووجهت أنظارها نحو "مارك" .

– هل يريد أحد أن يلعب التنس ؟

التقت عيناه بعيني "شارلوت" عبر رأس "ليلا" وقال :

– هل ستلعبين يا آنسة "بوفيل" ؟

– وأحرمك من مباراتك ؟ لا يا "راينر" إنني سعيدة بالبقاء مكاني .

عندما ذهب الاثنان ، صبت "شارلوت" قدحا آخر من القهوة ، وسرعان ما قطعت ضربات كرة التنس حبل السكون وأخذت ضحكات "ليلا" ترن من وقت لآخر .

تناولت "شارلوت" الراديو وفتحته ورفضت أن تعترف أنها تحاول التغطية على الأصوات ولا أن تعترف أنها تزعجها .

الفصل السابع

أصبحت "ليلا" زائرة مستديمة ومنتظمة في الأيام التالية ، ولم تتظاهر بأنها تحضر لرؤية "شارلوت" . واستمر "مارك راينر" يبدو غير مهتم سواء عن حذر أو عن مناعة حقيقية . لم تستطع "شارلوت" أن تقرر ، ولأمر ما كانت مقتنعة بمناعته لأنه لو كان قد استسلم لجاهرت "ليلا" دون شك بذلك .

عاد والد "شارلوت" في نهاية الأسبوع وضايقها أنها قضت ساعات عديدة بمفردها معه في حجرة مكتبه .

– سمعت أنك كففت عن مقابلة "باري" . هل هناك سبب محدد ؟

قال هذا عندما لحق بها في الشرفة بعد ذلك يوم السبت بعد الظهر .

قطبت جبينها وظنت أن "مارك" قد أخبره بذلك .

– إنه يسبب لي الملل ويشرب كثيرا . تنهد "شارل بوفيل"

– أعتقد أنك تعرفينه جيدا ، ولكنه يدهشني كشاب صغير ولطيف .

سألته دون قصد :

– وهل أعجبك "مارك" لهذه الأسباب أيضا ؟ يبدو أنك أخذت عنه فكرة براقة.

– هل يعني هذا أنك لم تأخذي عنه نفس الفكرة ؟

– لا بأس به ، ولكن لنكن صريحاء لا أستطيع أن أستقر على رأي حوله .

– يبدو أن "ليلا" لم تجد مشقة في هذا .

– هل ناقش "راينر" الأمر معك بشأنها ؟

– ليس بالضبط . لقد طلبته في جهاز "الانتركوم" بينما كنا نتحدث وأضرت على الحديث معه ، وقالت له : إنها عند حمام السباحة .

ثم ابتسم ابتسامة ذات مغزى .

– إنها شغوفة دائما بالشباب ذوي المظهر الجميل .

وجدت "شارلوت" نفسها تدافع عنه .

– إن لدى "راينر" ما هو أكثر من المظهر فهو واضح وممتاز لدرجة أكثر من وظيفته وكنت أتساءل إذا ...

أتم والدها جملتها .

– لدي وظيفة أخرى من أجله . من المحتمل أنه سعيد بهذه الوظيفة أكثر مما يمكن أن نقول عنها .

– إن القرد الكسلان سعيد أيضا ، ولكن هناك الكثير في الحياة أفضل من حياة الكسل . ولهذا السبب يضايقني "راينر" . إنه سعيد بأن يهدر قدراته . ارتفع حاجباه الرماديان .

– حاسبي على خطواتك يا عزيزتي فـ "مارك" ليس بالرجل الذي تتنصرين عليه أو تتملكينه .

رددت :

– "مارك" ليس من عادتك أن تنادي العاملين بأسمائهم الأولى .

جاء الرد سريعا :

– إنه يفضل أن أناديه "مارك" .

– لم يطلب مني أبدا أن أناديه بهذا الاسم .

– لأنه يعمل مباشرة تحت أمرك ويعتبر طلبه منك ما يحبه يتنافى مع اللياقة الأدبية .

– لن يقفه هذا ، فهو لا يخجل كزهرة البنفسج إذا تعلق الأمر بإبداء آرائه . وعلى أية حال ، أنا لم أوظفه وإنما أنت ، ولقد فاض بي الكيل من عدم السماح لي باختيار الحياة التي أفضلها .

– دعينا ألا نعود إلى هذا الأمر ثانية ، إنني أريد الأفضل من أجلك ، ومن أجل سلامتك ، التي هي شغلي الشاغل .

أخذت تقاطيعه تزداد نعومة ، لم يكن أبدا قادرا على كبح جماح غضبه معها لمدة طويلة :

– عليك أن تجدي لنفسك زوجا يا عزيزتي ، وعندها يمكنك مجادلته في طريقة حماية نفسك .

أدارت رأسها وعلقت على قوله :

– هل تعترض إذا تزوجت شخصا لا يريد أن يدخل في صناعات "بوفيل" ؟

– إطلاقا ، رغم أن ذلك يعني أنني عندما أموت أو أتقاعد ستدار الشركة بمعرفة مجلس إدارة بدون رئيس مالم يظهر أحد أحفادي شغفه بالتجارة .

ضحكت "شارلوت" وأمسكت يده :

– كم أرغب أن يكون لي رأس تجاري وأشعر دوما أنني خذلتك .

– ما هذا الهراء . أنت ابنتي وأنا أحبك رغم أنك لا تستطيعين أن تجمعي ٢ + ٢ !

مسح على شعرها ثم نهض وقال :

– سأذهب إلى المكتب لدراسة بعض المستندات .

عندما وجدت نفسها وحيدة في الشرفة استندت على الوسائد الوردية وأغلقت

عينيها وأخذت تفاضل ما بين الذهاب إلى حمام السباحة أو تتمشى على النجيل . لم يغرها أيهما تختار فإن الجو حار لا يسمح بالتمشية ولم يكن لديها مزاج للدردشة مع "ليلا" .

سال خط من العرق على خدها ورفعت يدها لتمسحه . أمسكت يدها قبضة قوية وعندما فتحت عينيها رأت عينين زرقاوين ضاحكتين تنظران إليها .

– "جوني" كم أفزعتني !

– آسف ! لقد أردت أن أفاجئك .

– لقد فعلت بالتأكيد .. متى وصلت ؟

– لقد أبحرنا في السادسة صباحا كانت هواية "جوني كراكستون" هي سباق القوارب الشراعية وكان قليلا ما يبتعد عن قاربه .

كانت "شارلوت" تعرفه لسنوات طويلة وكانت أحيانا تراودها فكرة الزواج منه ، ولكن بعيدا عن أنها لا تحبه لم تكن لديها الرغبة أن تكون الزوجة الثانية بعد "البحر" أو لعبة "البولو" اللذين كان يعبدهما .

كانت تحس الأسبوع طويلا لسادس شهر بالنسبة لها معه واليوم في "هالنجتون" بمثابة الأبد وهي وصفة سيئة للزواج الناجح كما أنها بهذا الزواج تكون قد استبدلت قفصا بقفص آخر لأن "جوني" كان سيحميها ويحيطها تماما كما يفعل والدها .

جلس بجوارها – رجل جذاب بشعره البني الخفيف . كان نموذجا للإنجليزي المثالي من الطبقة العليا في مسلكه وملبسه عندما قضت "شارلوت" وقتا معه في بيته كان يبدو رثا في قميصه القطني الفضفاض والسويتر المغزول يدويا وله ثقوب عند الكوعين .

أما اليوم فهو أنيق بدرجة معقولة بقميصه الأبيض المفتوح عند الرقبة والشورت الذي أظهر نحافته . وهو أيضا لم يكن من الممكن أن يفكر المرء فيه كوارث لواحد من أقدم الألقاب وأغناها في انجلترا . سألته :

– إلى متى ستظل هنا ؟

– أسبوعا ... ثم سأذهب للسباق في "كاو" وكنت أمل أن تنضمي إليّ .

– إنني أكره السفر بالقوارب الشراعية .
– تعالي فقط ، وكوني زينة للقارب .
– هذا ما قلته في العام الماضي ، وقد انتهى بي المطاف إلى تنظيف سطح القارب .
– ولكنك تمتعت بذلك .
اعترفت قائلة :
– لقد كان مجرد تغيير حيث لم يسبق لي أبدا أن استخدمت فرشاة التنظيف
– تزوجيني وستمسكين واحدة طوال الوقت ...
ضحكت ثم نهضت وشبكت ذراعها في ذراعه .
– دعنا نذهب لحمام السباحة لأنني أشتاق للسباحة .
سارا فوق النجيل ثم نزلا السلم ..
سألها "جوني" :
– من هذا الغلام الذي يلعب التنس مع "ليلا" ؟
– سائقي الجديد ، الذي يعمل حارسا لي .
– لابد أنك تشتاقين لـ "روبرتس" .
– نعم . ولكن هذا الرجل يؤدي عمله بإتقان علق "جوني" .
– خاصة مع "ليلا" .. إنه بالضبط النمط الذي تجري وراءه .
– إنه (جنتلمان) تماما مثلك .
قال "جوني" باستغراب :
– لا تقولي إنك انجذبت إليه أيضا ..
– لأنني أحكم عليه بمقدار ما هو عليه وليس على أساس الجهة التي أتى منها .
هيه ! لست متحذلقا ولكني لا أرى أن لديه شيئا أكثر مما لدي .
كبحت "شارلوت" غضبها بجهد جهيد .
– إنه شديد الذكاء ، وسترى ذلك بنفسك عندما تقابله .
– لا أستطيع الانتظار .

ظهر "مارك" و"ليلا" وكانت منقطعة الأنفاس ، ولكنها مسرورة دون شك من نفسها وفكرت "شارلوت" هل هذا بسبب أنها لعبت لعبا جيدا ، أم أنها أحرزت تقدما في لعبتها الأخرى ؟
أعلنت "ليلا" :
– لقد هزمني شر هزيمة ، ولكنه علمني كيف أحسن من ضربتي الخلفية .
ظلت عيناها السوداوان مركزتين عليه .
– إنك ممتاز لدرجة أنك تصلح أن تكون مدربا ، شكرها وابتسم ، ثم حملق في الرجل الذي أمامه كانت "شارلوت" تعلم أنه ينتظر تقديمه وتعمدت ألا تفعل ، وغضبت عندما قامت "ليلا" بذلك .
– "مارك" هذا هو اللورد "كراكستون" إذا كنت تعلم شيئا عن رياضة القوارب الشراعية فلابد أنك سمعت عنه .
– نعم أعرف بالفعل ، تشرفت بمقابلة سيادتكم يا سيدي اللورد .
أومأ "جوني" .
– لابد أن نلعب مباراة بعد وقت قريب وأعتقد أنني سأكون أكثر ندية لك من "ليلا" .
فكرت "شارلوت" وهي متضايقة "يا للألفة ! كل واحد ينادي الآخر باسمه الأول عداي ولكن لم تكن لديها نية الالتحاق بالنادي أعلنت :
– سأقوم بالسباحة هل تأتي يا "جوني" ؟ تجاهلت عن عمد الاثنين الآخرين .
وقفزت إلى الماء ، وجعلته يصطدم بلدف بجسدها . أحست (بطرطشة) الماء خلفها وأحست بغريزتها أنه "راينر" الذي سألها وهو يحاول اللحاق بها .
– هل فعلت شيئا يضايقك ؟
– ماذا يدعوك للسؤال ؟
– إنك لا تستطيعين بالفعل إخفاء مشاعرك .
– على عكسك .
– هل كنت تفضلين لو أخبرت "ليلا" أنني لا أطيقها ؟

– بالتأكيد لا .
– إذن لا تلوميني لكوني مؤدبا معها .
كان صوته هادئا مثل تعبيره .
– ولا أحتاج إلى تذكيري بمركزي هنا يا آنسة "بوفيل" . والسبب الوحيد الذي أردت من أجله تقديمي للورد "كراكستون" هو أنني لم أره هنا من قبل .
قالت له بجفاء :
– إذن ماذا ؟ ليس من شأنك أن تفحص كل شخص يأتي للقائي .
– أعتقد أنه من واجبي .
– سأتذكر أن أعطيك قائمة بأسماء ضيوفي لمتابعتهم .
تركته يتخبط في الماء وعامت إلى أقصى الحمام وفوجئت عندما استدارت فوجدته قد خرج من الحمام وأخذ يتحدث مع "ليلا" و"جوني" . يا للعنة ! لقد أصبحت عادة اعترفت بها . قامت بدورة ثم لحقت بهم . وجهت الحديث إلى "جوني" .
– لقد ظننت أنك ستأتي للسباحة معي .
– لقد نسيت أنني وقعت معك عقدا ولكن إذا كانت لديك رغبة ملحة في الانفراد بي هيا بنا نتمشى .
وضع ذراعه في ذراعها وقادها إلى السور الذي يحد قمة الصخرة التي أسفلها كان البحر يصطدم بلطف بالصخور مكونا الزبد بينما أخذت طيور النورس تغطس وترتفع فوق الماء المتلألىء الأزرق . كان ثمة قارب بخاري يمخر عباب البحر ناحية منحدر المياه ، ثم برز فجأة عند وصول موجة عاتية فجائية .
علق "جوني" :
– يبدو أن نشرة الأرصاد الجوية صحيحة إذ تقول : إن الجو قد ينقلب .
اقترحت عليه "شارلوت" :
– لماذا لا نذهب إذن إلى "سان بول دي فنسان" ؟ هناك فنان أود مقابلته هناك.
– ألا تزالين تبحثين عن "بيكاسو" آخر ؟

– نعم .. ولكن الأمر ليس سهلا . ليس هناك نقص في الفنانين وإنما ندرة في المواهب .
انحنت للخلف على السور . كان "راينر" ينظر في اتجاههما بينما أخذت تفحصه .
– سيأخذني اللورد "كراكستون" إلى "سان بول دي فنسان" وعليه يمكنك أن ترتاح بقية اليوم .
قال "راينر" معتذرا :
– أظن أنكما تفضلان الذهاب بمفردكما ، ولكن أخشى .. إن عليّ أن أقود السيارة .
– إنني في أمان تام مع اللورد "كراكستون" .
– إن وظيفتي هي اصطحابك .
غمغم "جوني"
– دعي "راينر" يقود السيارة حيث إنه من الصعب ركن السيارة في "سان بول" .
قالت بعناد وقد سرها أن ترى "راينر" يضغط شفتيه :
– أريد أن أكون معك بمفردنا .
– إما أن أقود السيارة وإما أن تبقي هنا .
– وإذا رفضت ؟
كانت مجادلة لإبراز القوة وكانت مصرة على الفوز .
– سأذهب إلى والدك .
– لا تشغل بالك . سأذهب إليه بنفسي وسأنهي هذا الأمر بصفة دائمة .
جرت ناحية الفيلا ولحق بها "جوني" عندما وصلت القاعة الرئيسية .
– لماذا تثيرين زوبعة يا "شارلي" ؟
لايهم إذا جاء "راينر" معنا .

– إن الأمر مهم بالنسبة لي ، لقد تعبت من مراقبته لي ليلا ونهارا .
– إنه ينفذ تعليمات والدك فقط ، ولكن "شارلوت" كانت ثائرة بدرجة لا تسمح لها بالاستماع إلى صوت العقل وسارت إلى المكتبة ، وواجهت والدها عبر المكتب . قالت في ثورة :
– لقد تجاوز هذا الرجل الملعون كل الحدود أريد منك أن تطرده .
نظر "شارل بوفيل" إليها عبر زجاج نظارته .
– أعتقد أنك تقصدين "مارك" ؟ .
– من غيره ؟ إنه وقح وعنيد ويتمسك برأيه .
– إنه يذكرني بفتاة أعرفها وطالما تحملتك اثنين وثلاثين عاما فلماذا لا تفعلي نفس الشيء مع "مارك" لأشهر قليلة ؟
– أشهر قليلة أتعني أنه هنا بصفة مؤقتة ؟
– نعم . سيظل هنا حتى تخمد القلاقل في "تليجواي" .
بدلا من أن تفرح بهذا الخبر أحست "شارلوت" بالعكس رغم أنها من لحظة طلبت طرده . كانت مشوشة من تغيرات طباعها المستمرة ، خافت من تحليل السبب . استمر والدها في القول :
– إنني آسف لأنك أحسست بالكراهية نحوه ، ولكن عندما يرحل أعدك بأن أحضر لك سائقا تقليديا .
قالت بهدوء :
– شكرا
وإن ظلت تحس بالإزعاج من إحساساتها ثم رحلت .

الفصل الثامن

استغرق الطريق إلى "سان فانسان" حوالي الساعة لأنه كان يوم السبت ، والمرور أكثر ازدحاما من الأيام العادية .
ورغم أن الحاجز الزجاجي بين "مارك راينر" والآخرين كان مغلقا ، إلا أن

"شارلوت" كانت تحس وجوده وتشعر بعدم الراحة ، كان يرتدي بنطلونا داكنا وقميصا أبيض وكان الكاب الذي يرتديه هو الوحيد الذي يذكرها بوضعه الاجتماعي وهي حقيقة وجدت أنها تهدئ من ثورتها . كانت قد أخبرته أنه لا حاجة له إلى ارتداء الزي الرسمي وكان هذا الرمز بدوره يغيظها ، لأنها كانت مقتنعة بأنه لبس الكاب ليضايقها وليريها أنه سيد نفسه ، وكأن أي شيء تقوله ، أو تفعله يمكن أن يسلبه ثقته بنفسه .
بذلت جهدا كبيرا كي تركز على ما كان يقوله "جوني" .
كان يتحدث لعدة دقائق ولكنها مع ذلك لم تسمع أية كلمة . اعتذرت قائلة :
– آسفة ! لقد كنت أفكر في مدى سروري لحضورنا هنا . لقد اكتفيت ومللت الجلوس حول حمام السباحة .
– تعني أنك اكتفيت من الجلوس حول حوض السباحة ومشاهدة تمثيلية الإغراء التي كانت تقوم بها "ليلا" .
تهكمت "شارلوت" .
– كانت واضحة تماما .
– ألهذا السبب لم تسأليها أن تنضم إلينا ؟
– لم تكن حرة على أية حال . كان عليها أن تعتني بشعرها وكانت ستذهب إلى معرض في "مونت كارلو" .
– إذا أردت الذهاب يمكنني تدبير تذكرتين .
– لا شكرا ، إنني أنفر من هذه الأماكن حيث كل فرد يرتدي زيا قاتلا أو استعراضيا إنها شيء مقزز .
تكرمش فم "جوني" عند ركنيه وقال .
– ليس أكثر تقززا من هؤلاء .
وأشار إلى مجموعات كبيرة من المروجين الذين يغرون المارة بشرب سجائر خاصة أو يقودون سيارات خاصة أو يتمتعون بأنواع خاصة من المشروبات وقال .
– يا لها من مؤامرة على مدى البصر !

وافقته "شارلوت" وتذكرت جيدا عندما كانت تقود سيارتها طوال هذا الطريق، كانت قريبة من الرجوع إلى عصر سابق مختلف، كان اللون الصامت لأشجار الزيتون والأخضر الداكن لأشجار الصنوبر تختلط فوق التلال يقطعها من مكان لآخر أسطح مغطاة بالقرميد الأحمر ، ومساحات من أشجار البوجنفيليا المورقة ولكنها الآن ازدحمت بفيلات جديدة وردية وبلوكات شقق سكنية انتشرت كنبات عش الغراب على سفوح التلال المنحدرة ، بينما أحاطت بالطرق السريعة مواقع لضرب الخيام حلت محل أشجار البرتقال ، والليمون وقددفعت تعويضات لأصحاب الأراضي حيث امتلأت الريفيرا اليوم بالآلاف بدلا من العدد القليل من الأثرياء الذين كانوا في الماضي يعتبرونها منتجعا خاصا لمسراتهم الخاصة – لقد كدنا نصل .

أعلن ذلك "جوني" عندما ظهرت مناظر الحوائط الحجرية الرمادية وقلاع المدينة القديمة "سان بول دي فنسان" .

بدت كما لو كانت وقت أن دافعت عن نفسها ضد الغزاة الأندلسيين الذين عبروا البحر قادمين من شمال إفريقيا . وعندما اقتربوا أكثر ظهرت اعتدامات الزمن والرجل الحديث . كان عادم السيارات يلوث الجو والراديوهات الترانزيستور تفسد الهدوء والسلام بينما احتشد آلاف السائحين في الشوارع الضيقة يحملقون في فترينات المعارض التي لا نهاية لها والتي تبيع نسخا مقلدة للوحات العظماء القدامى من الرسامين والتي تنتج في الأدوار التي تحت الأرض أو في الورش فوق المعارض وتباع بأسعار مغالى فيها .

أوقف "راينر" السيارة الفيراري ثم فتح الحاجز الزجاجي وقال :

– لا أستطيع أن أصعد بالسيارة أكثر من هنا يا آنسة "بوفيل" أرجو أن تنتظريني هنا حتى أركن السيارة .

أومأت "شارلوت" برأسها وخرجت من السيارة ووقفت بجوار "جوني" إلى أن استطاع "راينر" أن يدس السيارة بمهارة مكان إحدى السيارات التي رحلت في تلك اللحظة وقد تطلب منه استخدام كل خبرته وبراعته حتى أن مجموعة من الشباب صاحت تحييه بإعجاب .

شبك "جوني" ذراعه بذراعها وهما يصعدان الطريق المنحدر بشدة نحو المدينة بينما سار "راينر" بالقرب منها من الجانب الآخر. كانت مدركة ترامي نظرات الفتيات اللاتي كن يحملقن فيها بحسد دون شك لأنها محاطة بشابين أنيقين . آه لو علموا فقط أن أحدهما صديق والآخر ... اللعنة .. إنها لا تعرف ماذا تعتبر "راينر"، سألها "جوني"

– أين هو الفنان الذي تريدين رؤيته ؟ أخذت تبحث في حقيبة يدها عن بطاقته :

– ٩ شارع بريتون.

قال "راينر" :

– أعرف مكانه .

وعندما لاحظ دهشتها أضاف :

– لقد عشت هناك لفترة.

– للعمل أم للتسلية ؟

– للعمل المسلي .

تساءلت عما إذا كان ذلك مع امرأة وأنبت نفسها لاهتمامها بهذا الأمر قالت بصوت عال :

– من الأفضل أن تتولى إرشادنا .

أومأ برأسه ولكنه لم يترك جانبها رغم أنه أسرع الخطو وهم يصعدون المنحدر ، ثم انحرفوا إلى حارة ثم بدءوا النزول بنفس الانحدار العكسي . كانت "شارلوت" سعيدة لأنها كانت تلبس حذاء بدون كعب وإن وجدت من الصعوبة أن تحافظ على توازنها فوق المطبات .

– كم يبعد عن هنا يا "راينر" ؟

– لقد وصلنا .

وأشار إلى باب قديم من خشب البلوط عندما عبروه وجدوا أنفسهم في "إتليه" نموذجي للفنانين ، حجرة متوسطة المساحة حوائطها وأرضيتها من الحجر، ويدخل الضوء من نافذة واسعة تطل على جانب التل الرمادي المائل للون الفضة ؛ اقترب لمقابلتهم رجل ضخم الجثة أسود الشعر يمسك بيده إزميل

حفر .

– يا سيد "لوبران" ! لقد حضرت لمقابلتك ومشاهدة أعمالك ، لقد كلمني عنك صديق قالت هذا بفرنسية سليمة وبطلاقة .

– أتعشم أن تكوني عميلة مرضية .

ابتسمت وقالت :

– ولماذا إذن حضرت ؟

أسعده ردها وبدأ يستعرض اللوحات المعلقة على الحائط . كان معظمها عن الإقليم، مرسومة بألوان ساطعة تعبر عن روح المكان . اعتبرتها "شارلوت" كلها جيدة إلى أقصى حد ، بينما عبر "جوني" عن العكس تماما وعلى عكسهما أخذ "راينر" يتفحص كل لوحة بشغف وقد برقت عيناه بضوء لم تره من قبل .

أعلنت :

– سآخذ الكمية كلها وعليك أن تحضرها إلى الفيلا وسأدفع لك ثمنها .

حملق السيد "لوبران" فيها وقال :

– لا أستطيع أن أستغني عن كل مخزوني ، ولم تتركي لي ما أريه لعملائي .

أعلنت "شارلوت"

– هذه هي الفكرة والرأي أريد أن أشتري كل ما تنتجه . وسيعد المحامون الخاصون بي عقدا أنا متأكدة أنه سيرضيك تماما . أنا "شارلوت بوفيل" . هل اتفقنا ؟

ما إن أعلمته بذلك حتى وجدت عينيه تتسعان إلى أقصاها . غمغم قائلا .

– سأسلمهم غدا في الصباح . هذا أمر لا يمكن تصديقه – لم أحلم ... شكرا جزيلا علق "جوني" عندما أخذا طريقهما نحو الشارع الرئيسي :

– إنك حقا امرأة مندفعة . أتوقع أن تخبريني بعد ذلك أنك ستفتحين معرضك الخاص.

– سأفعل وهذه في الحقيقة فكرة "راينر" وهي فكرة جيدة جدا .

تدخل "راينر" في الحديث :

– أعتقد أن الفكرة كانت تدور في ذهنك من قبل يا آنسة "بوفيل" وأنا واثق أنك

ستنجحين ، لأن لك نظرة ثاقبة .

– لا أعتقد أن اللورد "كراكستون" يتفق معك على هذا الرأي .

اعترف "جوني" .

– إنني شخص عادي وواقعي وعليك تجاهل رأيي .ظلوا يضحكون على هذا الاعتراف حتى وصلوا إلى السيارة ووقفوا في ضيق لأن سيارة "فولفو" سدت عليها الطريق قال "جوني" .

– دعينا نتناول شرابا في ملهى الحمامة الذهبية ونترك "راينر" لإخراج السيارة واجهت "شارلوت" "مارك" "لا لن تفكر فيه بهذه الطريقة فسألته .

– هل مسموح لي أن أذهب إلى الملهى بدونك ؟

أومأ برأسه موافقاً وعندما سارت "شارلوت؛ مع "جوني" عبر الشارع ارتبكت عندما وجدت "راينر" يصاحبهما ولجوا الباب ووجدوا أنفسهم بجوار حائط حجري عال ووجدوا أنفسهم في فناء واسع به موائد ومقاعد مصطفة حول شجرة قديمة . سأل "جوني"

– هل ترغبين أن تجلسي هنا أم في الشرفة ؟

أجاب "راينر" بالنيابة عنها :

– هنا : إنها أكثر ازدحاماً .

قالت "شارلوت" :

– لهذا أفضل الشرفة عن هنا .

– إذا جلست هناك يا آنسة "بوفيل" يلزم أن أظل معك وعندئذ لن نستطيع إخراج السيارة .

عندما لاحظت فكيه المصممين استسلمت . علق "جوني" عندما انفردا ببعضهما

– من المؤكد أنه يأخذ عمله مأخذ الجد .

– إنه يتقاضى أجره من أجل أدائه .تنفست بعمق وكتمت شعورها بالذنب لإقلالها من شأن رجل يؤدي عمله بضمير، استمر "جوني" في حديثه عندما طلب المشروبات .

– إنه نموذج غير عادي لهذا النوع من العمل ، ماذا تعرفين عنه ؟

– فقط حضر بتوصيات عالية وإلا لما استخدمه والدي . لماذا تسأل ؟
– لأنه يذكرني بشخص ما، وإن لم أتذكره إلا من لحظة ، إنه الجنرال السير "هنري راينر" . إنه "بيتر" ابنه ، ولكني أعرف أن له شقيقاً أكبر منه .
ابتسمت "شارلوت" وأسعدتها الملاحظة .
– ولكني لا أرى أية صلة بـ"راينر" هذا ربما يكون الجانب الفقير من العائلة هل تحدث عن عائلته ؟
– نعم كان والده بالجيش وشقيقه صاحب أملاك صغيرة . أوه .. لقد تذكرت إن والدته تقوم بالخياطة من نوع ما .
– هذا يحسم الأمر فصديقي "بيتر" يدير أملاك الأسرة وأخته متزوجة من دوق "ويلزي" وتعيش في قلعة في اسكتلندا .
– من الصعب أن يكونا من نوع أقارب "راينر" ماذا يفعل الأخ الأكبر ؟
تناولت "شارلوت" شرابها .
– إنه يتولى عملاً ما في وزارة الخارجية وهو عمل غير تقليدي على ما أعتقد.
لقد اختفى عن الأنظار عدة سنوات ولا يدري أحد أين ذهب . لقد سمعت أنه في "كوبا" وهو ما لا يرضى عنه والده .
أشار "جوني" إلى كوبها الفارغ وقال .
– هل تودين شرابا آخر ؟.
– لا ، شكرا .. دعنا نرى ما إذا كانت السيارة لا تزال محشورة .
سألها "جوني" وهما يغادران الملهى .
– أين قررت تناول العشاء الليلة ؟
– بالمنزل ، فوالدي يستمتع دوما برؤيتي . لم يكن لدى "شارلوت" الرغبة في الخروج هذه الليلة بسبب عدم راحتها التي أحست بها منذ أن سمعت عن الجنرال "راينر" ، كانت تعلم أن "مارك" لا يمكن أن يكون ابنه، ولكن المعلومة أدت إلى إشعال شكوكها حوله، وفضلت أن تبقى لترتاح في وسط مكان مألوف لها . أخذت تتساءل .. هل من الممكن أن يكون "مارك" قد زور مستنداته وخدع والدها ؟ على الرغم من أنهم وظفوا فريقا من الناس مهمتهم الوحيدة الاستعلام

عن الموظفين الجدد ، إنهم دون شك غير معصومين من الخطأ ، وقد يكون "راينر" أفلت من الشبكة ، وربما أيضا يكون قد أرسل كي يختطفها . أحست بالعرق يسري في جسدها ، وأحست بالسعادة و"جوني" يلف ذراعه حولها . أعطاها هذا شعورا بالأمان في عالم ظهر فجأة وكأنه ينزلق عن مكانه ، ومع ذلك عندما رأت "راينر" قادما نحوها اختفت كل شكوكها . لو كان يريد فعلا اختطافها لفعل ، إذ أتيحت له فرص كثيرة ، لقد كانا كثيرا متواجدين بمفردهما خارج الفيلا خصوصا في ذلك اليوم الذي عبر بها الحدود إلى إيطاليا من أجل قيامها ببعض المشتريات والتي كان من الممكن أن تكون له فرصة ذهبية قال لها :
– لقد حضرت لأخذكما ، فالسيارة أصبحت حرة التحرك.
سأله "جوني" بلطف عندما جلس بجوار "شارلوت" في المقعد الخلفي :
– أرجو أن تنزلني عند الفيلا الخاصة بي،اتخذ شارع الكورنيش الأسفل وسأوجهك من هناك .
– أعرف مكان منزلك يا سعادة اللورد .
– لا تقل لي .. ما الأمر ؟ .. إنك كنت تراقب الموقع .
– أخشى أنني فعلت ذلك ، فإن من واجبي أن أعرف مواقع كل الأماكن التي قد تزورها الآنسة "بوفيل" .
دهش "جوني" من تلك المعلومة وأغلق الحاجز الزجاجي بينهما ، وأخذ يحملق في "شارلوت" .
– كل ما يجرى حولي لا أعرف عنه شيئا .
– بسبب الثورة في "تليجواي" .
– آه ! أصبح الأمر منطقيا ، ولكن أليس من الأسلم لك أن تظلي في المنزل حتى يتم قمع الثورة وتستقر الأمور ؟
– ولكن ماذا يحدث لو انتصر المتمردون ؟
هل أظل سجينة في الفيلا ؟
قطب جبينه ووضح عليه الانزعاج وأخذ يقلب الأمر في نفسه ، عندما أخذت

السيارة تهدئ من سرعتها إلى أن وقفت أمام باب فيلا فاخرة من ثلاثة طوابق وسط عدة هكتارات من أرض الغابات تشرف على "نيس" . سألها :

– هل تدخلين لتحية أمي ؟

توسلت "شارلوت" إليه قائلة :

– ليس اليوم ، وأريد أن أبدل ملابسي أيضا ، وأستغرق وقتا أطول كي أبدو أكثر قبولا .

قال لها وهو يقبل خدها :

– إنك دائما كاملة بالنسبة لي ، سأراك حوالي الثامنة والنصف .

قالت له :

– هل تود أن يحضر "راينر" لاصطحابك ؟

لقد تركت سيارتك في بيتنا .

– لا يا حبيبتي ، سأستقل سيارة أجرة ، أشارت إلى "راينر" كي يتحرك بالسيارة وعندما اختفت الفيلا عن أنظارها أمرته أن يتوقف ، وانتقلت للمقعد الأمامي بجواره سألته عندما استأنف السير :

– أتظن أنني كنت متسرعة بعد الظهر عندما اشتريت كل "إنتاج" "لوبران" ؟

– هل أعدت التفكير ؟

– ليس بالنسبة لنوعية اللوحات ولكن لكثرتها بحيث يمكن أن يكون عرضها مملا .

– لا أفهم السبب . أنت على علم بعالم الفن ويمكنك استخدام أحسن الأشخاص لإبداء النصيحة ، وعلى أية حال فإن أعمال "لوبران" تلقى رواجا كبيرا في السوق .

– تبدو واسع المعرفة أنت أيضا .

جاءت لهجة "مارك" جافة عندما أجاب :

– ليس الفن قاصراً على الأغنياء ، قد لا أملك المال لشراء ما أشتهيه ، ولكن ليس هناك ثمن للتذوق .

كانت تستحق هذه الضربة القاضية وقد أقرتها :

– أنا آسفة ، لم أقصد أن أخفض من قدرك .

وجه إليها نظرة خاطفة تحولت فيها عيناه إلى اللون البني الفضي ويشوبها التهكم .

– إن الأمور في تحسن ، فمن ثلاثة أسابيع مضت لم تكوني لتعترفي بالخطأ .

لو كان قد أسبغ عليها أكبر آيات المدح لما شعرت بمثل ما شعرت به الآن من سعادة وفرح . هل كان ذلك لأنها أدركت أن عدم موافقته تعني الكثير بالنسبة لها ؟ ألقت عليه نظرة جانبية طويلة ورأت فمه يهتز قبل أن ينظر أمامه .

سألته :

– ماذا ستفعل هذا المساء ؟ سأتعشى بالمنزل ، لذا فستكون حرا .

– من المحتمل أن أقابل صديقا .

– لم أتصور أنك تعرف أي شخص في المنطقة .

– تعرفين القليل عني يا آنسة "بوفيل" . كانت هذه ضربة قاضية أخرى ، ورغم أنها كانت تحترق من الخجل إلا أنها أخفت ذلك وراء عدم الاكتراث . ولكن عدم إظهار فضولها كان مفتعلا وتساءلت عما إذا كان يحاول التلميح إلى أن له ماضيا .. كانت واثقة من أمر واحد وهو أنه كان حريصا ويقظا باستمرار ، ويراقب كل ما يقول ويفعل، تضاعفت شكوكها حوله ، وأحست بالراحة عندما ظهرت أبواب الفيلا . ناقشت في أثناء العشاء مشروعها الجديد مع والدها وفرحت عندما وافق عليه بلا شروط .

قال :

– إذا أردت نصيحتي . عليك بافتتاح معرض محلي ويمكنك توسيع آفاقك عندما تحصلين على بعض الخبرة ، بالإضافة إلى أنه إذا عرضت بضاعة محلية أصبح في مقدور السكان المحليين شراؤها .

انفجرت "شارلوت" من الضحك وقالت ما رأيك يا "جوني" ؟

– أعتقد أن والدك على حق . لماذا لا تبحثين عما يصنع في كان ؟ وما رأيك في مهرجان الأفلام والحشود التي تحضرها إنها فرصة نادرة ؟

هزت رأسها وهي تفكر :

– إنهم بالتأكيد العملاء المناسبون.. لن يهمهم المال بل سيتحرقون شوقا لإظهار مدى شغفهم بالثقافة .

قضوا باقي الأمسية في مناقشة المشروع وكانت الساعة قد قاربت الثانية عشرعندما ودعهم "جوني" وصحبته حتى السيارة .

قال لها :

– هل هناك أية فرصة للقائه باكراً ؟

– أخشى ألا أستطيع .

– سأتصل بك على أية حال . شدها بين ذراعيه وقبلها بقوة في فمها . كانت تود أن تستجيب له ولكنها رفضت أن تتظاهر وتراجعت لتمنعه عن التمادي .

أطلق سراحها بعد لحظة وبدا عليه تقطيبة شبه مختفية

– إنني كسوط العذاب ، أليس كذلك ؟

– أنا آسفة يا "جوني" .

– وأنا أيضا ولكني لن أكف عن المحاولة حتى تخبريني بنفسك أنك وقعت في حب شخص آخر .

قال له والدها عندما لحق بهما :

– ليس هذا وداع قطيعة . لا تقولي لي إنه لحق بـ"باري" .

تهكمت .

– لا تقل لي إنك فقدت حفيدا له لقب .

– بصراحة أوافق على أي شخص يسعدك .

– أي شخص ؟

اتسعت عيناها وقالت له .

– ربما أتزوج "راينر" خلع "شارل بوفيل" نظارته بسرعة .

– هل استغل وضعه كي ... قالت بسرعة :

– لا لا .. إنني أهذر .

ولكن هل كانت فعلا تهذر ؟ عندما تأملت الأمر فيما بعد وهي مستلقية في سريرها لم تكن واثقة من نفسها .كان "مارك راينر" وسيما وذكيا وممتعا .

والأهم من ذلك أنه لم يخضع لها وهو ما لا ينطبق على أي من الرجال الذين عرفتهم . وهو يثيرها أيضا جسديا خاصة وقد عادت لها ذكريات الليلة التي لمسها وقبلها فيها وتركت "باري" في المطعم بسببه مما رفع نبضها وأحست بالرغبة العارمة أن يلمسها ثانية .

أحست بالإرهاق الشديد فدفنت رأسها في وسادتها . إن مثل هذه الأفكار مجنونة . إنه لا يعني شيئا بالنسبة لها ، وبالنسبة له كانت مجرد مصدر مرتباته إذا قال شيئا مختلفا صدقته أليس كذلك ؟

كان هذا السؤال تردده على نفسها مرات ومرات ولم تصل إلى إجابة حتى استغرقت في النوم .

الفصل التاسع

استيقظت "شارلوت" فجأة . كان ضوء القمر ينساب إلى الحجرة ناشرا ستارة فضية على الجزء الخلفي من السرير ، تثاءبت وتمطت وهي تحس بالتعب لدرجة غير متوقعة .

أضاءت المصباح الموضوع بجانب السرير وتناولت كتابا ، ولكن بعد أن قرأت صفحة واحدة ألقت به جانبها ، حيث لم تكن قادرة على التركيز . كان الليل ساكنا فيما عدا صوت ماء البحر الخافت المصطدم بالشاطىء وصوت النسيم على سعف النخيل . أحست برغبة في أن تجري حافية فوق النجيل تذكرت ما قاله "راينر" عن أنها امرأة ذات نزوات وتساءلت ماذا يمكن أن يقول عنها لو عرف أفكارها . من المحتمل ألا يلتفت إليها باعتبار تصرفاتها صبيانية ومع ذلك فقد تكون غير منصفة له لقد أخذ إعلانها عن نيتها افتتاح معرض مأخذ الجد .

كشف النسيم الهادىء وجه القمر الذي كانت تغطيه سحابة وأعطى الضوء الساطع لمعانا للنجوم في خلفيتها السوداء المخملية . كانت الساعة المرصعة

بالماس بجانب سريرها تشير إلى الثانية والنصف صباحا . تناولت سترتها الفضية التي تناسب ثوب النوم وذهبت إلى الحديقة .

عندما وصلت إلى السور الذي يحد الصخرة حملقت في مياه البحر . صبغ ضوء القمر حواف الأمواج باللون الفضي ، بينما تلألأت على البعد عند الأفق الأضواء الخافتة الصادرة عن يخت بعيد قد يكون يخت "جوني" أو "باري" رغم أنه قد يكون الآن في طريق العودة إلى الولايات المتحدة .

لقد اتصل بها هاتفيا عدة مرات بعد أن تركته غاضبة ولكنها رفضت أن تراه .

نبح الكلب على مسافة بعيدة ، فقفزت في عصبية ، ولكن هذا لا يقاس بالخوف الذي تملكها عندما رأت شبحا أسود يخرج من بين ظلام الأشجار ويتجه نحوها بثبات صاحت مرتعدة :

- لا تقترب أكثر من هذا ، أو سأطلق الرصاص .

- وتقتلين سائقك ؟ بالتأكيد لا يا آنسة "بوفيل" .

تقدم "مارك راينر" في ضوء القمر وأخذت تحملق فيه .

- كيف تجرؤ على أن تزحف نحوي هكذا ؟

- أنت تستحقين هذا . ألا تعرفين جيدا مدى الخطر الذي تتعرضين له لكونك بمفردك ؟

صرخت :

- أكاد أكون بمفردي ، ولكن الأرض كلها محروسة .

- إذن لماذا ارتعدت عندما سمعتني؟

لم تكن لديها إجابة عن هذا السؤال ولم تحاول أن تجد الإجابة ، وبدلا من ذلك استمرت في الهجوم عليه .

- إذا كنت مهتما للغاية بسلامتي كان من الواجب أن تكون هنا بنفسك .

- لم أتوقع أن تطلبيني في الساعة الثانية صباحا .

- ولكنك هنا أليس كذلك ؟

لماذا تتجول في هذا الوقت المتأخر ؟

- كنت أفتش على الأمن قبل أن أعود .

- تعني أنك تكاد تكون راجعا ، لقد تأخرت كثيرا .

- لم أكن مهتما بأن أكون هنا في ساعة محددة .

تجاهلت تعليقه وسألت :

- هل قابلت صديقا ؟

- لا ، لقد تناولت عشائي بمفردي في ميناء "نيس" .

- يا لسوء الحظ ! أن تكون "ليلا" مشغولة .

- لقد سبق أن أخبرتك أنها لا تهمني كانت نبرة صوته ملينة بالتحذير لـ "شارلوت" بأنها تنزلق نحو الخطر ومع ذلك استمرت :

- هل كانت إحدى الفتيات اللاتي قابلتهن في حفلي ؟

- لم أقل إنها كانت فتاة .

قلدته :

- لم أقل إنها كانت فتاة .. ألا يمكنك أن تعطي إجابة صريحة لسؤال صريح ؟

- يمكنني إذا كان هذا يهمك .

- تعني أنه ليس يخصني .

استدار فمه مبتسما .

- يجب أن تعترفي بأنك تبدين غيوراً .

زادت ضربات قلبها حتى كاد يقفز من الغضب .

- أعتقد أنني قلتها واضحة ، إنني لا يمكن أن أخطئ مع من يستأجرني .

هزت رأسها وجرت بعيدا عنه بسرعة حتى أنها تأرجحت وكادت تسقط لو لم يمسكها . قالت له بإهمال :

شكرا .

ثم استمرت في الجري غير أن قبضته اشتدت وجرها أمامه . كانت صلابة جسده تضغط على جسدها .

- لماذا تسرعين يا آنسة "بوفيل" أتخشين العدوى ؟

واجهت نظراته بعصبية وتوهجت عيناه في ضوء القمر وكأنهما شعلتا نار

وأعطته هيئة شيطانية جعلت الدماء تصعد وتجري بعنف في عروقها . أمرته أن يتركها تذهب محاولة الفكاك من إساره .

– ليس هذا ما يريده قلبك .

كانت ذراعاه لاتزالان محيطتين بها ، وفمه قريب من فمها حتى أنها شعرت بحرارة أنفاسه على شفتيها .

– كم هي سريعة نبضات قلبك ! مثل جناحي الطائر الذي يحاول الهروب من قفصه . هل تشعرين أنك في المصيدة يا "شارلوت" الحلوة ؟ أم هل أسميك المشاكسة الحلوة؟

صرخت وهي تحاول أن تظل فاترة بأمل أنها إذا استرخت يمكن أن يعود إلى عقله :

– لا يهمني ما تسميني به ، ولكن لا تفعل شيئا تندم عليه .

– ألا تعنين شيئا تندمين أنت عليه ؟

وقبل أن تجد فرصة للإجابة التصق فمه بفمها . وكما حدث في المرة السابقة لم تحدث عاطفة مشتعلة تدريجية ، وإنما ثورة حسية عارمة سرت في جسدها كالنار قال لها بصوت ثقيل :

– سأريك كيف تصبحين مرغوبة من الرجل الحقيقي ، وليس من هؤلاء التلاميذ الذين تعرفينهم .

أخذ يقبلها بجنون وهو يقول بصوت متحشرج .

– "شارلوت" الحلوة – يا حبيبتي "شارلوت" ويا معبودتي ...

قاومته .. ولكنه ظل يمطرها بقبلاته .. وتوقف الزمن عندما أخذ يتفحصها ببطء كادت مقاومتها تنهار أمام إلحاحه . وأخذت تفكر والعاطفة تجتاحها، ولكن صوت العقل حذرها من أنها إذا استسلمت لشهواتها فإنها بذلك تكون قد خطت خطوة مميتة ، وهي لا تجرؤ عليها ، ولم تكن مستعدة لها .

حاولت أن تسحب نفسها بعيدا عنه ، ولكنه رفض أن يطلق سراحها فأخذت تخمش وجهه بأظفارها . ولكن بدلا من أن تجد جلده وجدت الخصلات الكثيفة من شعره الحريري ، وحاولت أن تدخل أصابعها خلالها ، وأن تحس نعومة

شعره الأملس على وجهها .

حاولت أن تستجمع قوتها مرة ثانية ضد استسلامها وضعفها، وعندما أحس هو بذلك دار بها وهي بين ذراعيه واتجه ناحية السلالم .

صرخت :

– إلى أين أنت ذاهب بي ؟

إلى بيت حمام السباحة .

– لا ! لا !

سألها بصراحة :

– هل نذهب إلى غرفتك ؟

ردت عليه بركلات وحشية وهي تأمل أن يسقطها ويتركها .

– أنزلني !

– وماذا ستصنعين إذا لم أفعل – تطردينني ؟ بصراحة لا يهمني إذا فعلت ذلك فممارسة الحب معك تساوي أكثر من ذلك .

– أنت مجنون . أنزلني وسأنسى الأمر برمته يا "رايفر" . أرجوك وأعدك ألا أفصلك .

تجاهل صرختها وشدد من قبضته وأسرع في سيره . تملكها الرعب رغم أنها حاولت إخفاءه ، ولكن عندما وصلا إلى حمام السباحة ، ورأت بريق بيت الحمام الأبيض غمغمت في صوت ناعم وعادت للحياة وتعلقت برقبته وأدارت وجهها نحوه وهمست :

– أعطني قبلة .. أعطني قبلة .

دهش وخفض رأسه نصف انخفاضة وفي الحال جذبت وجهه لأسفل وعضته بوحشية في شفتيه .

صدم وأحس بالألم الشديد ، مما جعله يقف في مكانه وأخذ يلعن ويزمجر، بينما أخذ الدم ينساب على ذقنه .

– أيتها الشيطانة الملعونة – لقد سعيت إلى هذا .

– وأنت سعيت إلى هذا .

ثم خطا إلى حافة حوض السباحة ورفعها بين ذراعيه وأمسك بها هناك لفترة دون حراك ثم ألقى بها في الماء .

غطست "شارلوت" كالحجر الأصم ثم صعدت وهي تبحث عن الهواء . أخذت تسعل وتبقبق ثم سبحت إلى جانب الحوض وهي تتعثر مع كل حركة ولكن "راينر" كان واقفا هناك بلا حركة ولم يحاول أن يساعدها حتى بدأت تصعد سلالم الحوض .

– أعتقد أنك الكونتيسة دراكولا .

كان صوته يشويه الضحك .

– سأتذكر ألا أقبلك عندما يكون القمر بدرا.أزاحت ذراعه باحتقار .

– أنت خسيس .

– يؤسفني أن يكون هذا شعورك .

– كيف كنت تتوقع أن أشعر ؟ شاكرة ؟ !

أخذت المياه تتساقط من شعرها وثوبها مكونة بحيرة حول قدميها العاريتين بينما كان خفاها الذهبيان يعومان في وسط الحوض . عندما أدركت مدى قبح مظهرها المثير للشفقة زادت ثورتها .

– سأجعلك تدفع ثمن هذا حتى لو كان آخر ما سأفعله .

أعلن :

– لقد جلبته لنفسك . لم تكن ثمة حاجة لأن تمزقيني .

وضع يده على شفته وارتعش عندما لمسها كان من السهل معرفة السبب إذ كانت شفته السفلى متورمة ودامية .

– فرصة كانت كافية لنفس النتيجة .

ازداد غضب "شارلوت" . كان رجلا زلقا في حديثه . لو لم يكن متوحشا إلى تلك الدرجة ؟ لو كان رجلا مهذبا لاستطاع بسهولة أن يجعلها تركع أمامه . صاحت

– فرصة لم تكن لتقفك . لقد كنت مصمما للغاية ، ومن المستحيل مقاومتك .

خفض رأسه :

– لقد بدأت تجعلينني أفكر أنني لست مقنعا .

– يسعدني أنك في النهاية اعترفت بذلك .

– بعد منتصف الليل أكون غبيا إذا لم أفعل انتقلت عيناه من وجهها إلى ثوبها المبلل .

– لا تقولي "من تلسعه الحية يخف من الحبل" .

غطت خصلة من شعرها الذهبي عينيه العميقتين . شكت ما إذا كان يسخر بهذا القول . ولكنه استمر في حديثه .

– أتعشم ألا يؤثر ما حدث في صداقتنا . ليس لدي أية فكرة سوى أن أظل إلى جوارك طيلة الأسابيع القليلة القادمة ، وعليه أقترح أن نحاول أن نكون متحضرين ، كل تجاه الآخر .

– متحضرين ؟ !

كان من الصعب عليها حتى أن تنطق الكلمة .

– ليس لدي النية للحديث معك ثانية حتى أفصلك .

قال لها بسخرية :

– لن يسمح والدك بذلك .

– لن يمنعني هذا من المحاولة .

– أي عذر ستقدمينه ؟

أحست "شارلوت" بالقلق عندما ألمح إلى أنها لن تقول الحقيقة . فهي لم تكن – بالضبط – شريكا سلبيا في مغامرة الليلة ، وكان من البلاهة التظاهر بغير ذلك صدته قائلة :

– سأفكر في أمر ما .

– رفع أحد حاجبيه عاليا وقال .

– هذا يعني أنك ستكذبين ؟

– انتظر وسترى .

انزلقت بسرعة بعيدا عنه دون أن تنطق بكلمة ، وأخذت تجري وهي تصعد السلالم . كانت متألمة لأنها كانت حافية القدمين . لقد جعلها "راينر" تبدو بلهاء غبية وهو ما كان يؤلمها أكثر من الحجارة الخشنة تحت قدميها .

عندما أصبحت وحيدة في حجرتها خلعت ملابسها ودخلت تحت الفرش . بدأت أعصابها المشدودة ترتخي . وعندما أحست بالراحة دخلت تحت الأغطية الحريرية وأغلقت عينيها .

تعذر عليها النوم وأخذت أفكارها تدور حول "راينر" وحول ضرورة خروجه من حياتها وكلماتها في هذا الأمر لا تحتاج إلى المواربة . لقد خطت الليلة خطوة نحو الحافة أقرب مما حدث في المرة السابقة التي قبلها فيها ، ولا يمكن القول أنه في المرة القادمة ، رغم تأكيدها أنها لن تحدث ، إلا أن مقاومتها لابد أن تنهار تماما ؟ وكونها لاتزال عذراء لا يعني أنها قديسة .

لقد كانت تؤمن يوما أن العاطفة والزواج يجب أن يتلازما وحتى مقدم "راينر" ودخوله حياتها لم يتعرض إيمانها للمناقشة .

والآن ها هي ذي تتقدم أكثر وتلقي نظرة طويلة فاحصة على الفتاة التي كانت ، والفتاة التي على وشك أن تصبح ، إذا استمرت في نفس طريقها ، وضعت وسادتها في وضع أكثر راحة ..

نظرت إلى نفسها بعين مشمئزة فرأت أنها صلبة الرأس مسيطرة ، وأن رجلا فقط له أخلاق قوية للغاية هو المساوي لها . وفي هذا الصدد أضعفت ثروتها الطائلة من علاقاتها مع معظم الرجال الذين عرفتهم حيث كانوا جميعا يرهبون وضعها ، وهو ما يكفي لقتل مشاعرها نحوهم ، ولكن بالنسبة لـ "مارك راينر" فإنها التقت بمن هو ند لها . قد يكون أعد نفسه كي يتزوجها من أجل نقودها ولكنه لا يستطيع أن يستخدم المال كي تتحكم فيه .

ارتعدت عندما بعدت بها أفكارها ،وكانت تعلم أنه طالما بقي بالقرب منها فإنه سيشكل تهديدا دائما لسلامة عقلها . ومع ذلك كيف يمكنها التخلص منه ؟

وما السبب الذي تقدمه لوالدها كي يطرده ؟ إن ثقته في قدرات "مارك" بلا حدود وطالما يعتقد هذا الهراء حول ثوار "تليجواي" وأنه تهديد لها فإنه سيصر على بقاء "راينر" بجانبها ليل نهار .

لا .. مهما حاولت بجد أن تجد حلا فإنه من المستحيل أن تطرده بالطرق المشروعة العادلة ، وهذا يعني أن عليها أن تحقق ذلك بطريقة غير مشروعة .

الفصل العاشر

لم يتذكر "مارك" متى كان ثائرا على نفسه كما يحس الآن . فمن بين الأشياء غير المعقولة التي فعلها في حياته كان ما فعله اليوم أسوأها . حتى تلك اللحظة لم تنجح امرأة في أن تجعله يفقد سيطرته على نفسه إلا إذا رغب في ذلك ، ومع ذلك فإن فتاة فاسدة مدللة فعلت ذلك بالضبط .

لقد ركزت "شارلوت" دون شك على إغوائه . وقد عرف ذلك في الحال عندما سألته عن المكان الذي قضى فيه السهرة ومع ذلك فليس هذا بدليل على سلوكه المشين .

بلل شفته الجريح وغسلها واعترف لنفسه بأنه لم يحقق النصر . وشكراً لله أنها فعلت وإلا ..تأوه عندما استنتج العواقب ، فعلى الرغم من أنها قد أغوته عن عمد وأثارته جنسيا ، فإن عليه أن يستقيل من الخدمة.حمد حظه أنه تجنب ذلك القرار وجفف شفته بلطف ثم ضمدها وهو بجوار النافذة التي تطلع منها فوجد كل شيء مظلما هادئا وهو أكثر مما يحتاج إليه مزاجه . لقد خمدت نار الشهوة التي اشتعلت من قبل هدأت وإن لم تنطفىء ، وكان من الضروري أن يخمد أفكاره . ماذا به بحق السماء حتى أن فتاة فاسدة تجعله يحس كتلميذ مراهق .

إن علمه أنها مستلقية على سريرها بحجرتها في الدور الأسفل أهاجه .

وأخذ يسب في هدوء . حذر نفسه ، يجب أن تراقب نفسك لديك مهمة عليك أداءها وهي مهمة خاصة وعليه يجب ألا تهدمها بسبب نزوة عارضة .

أيقظته رعشة من أحلامه وأدرك أنه لا يزال واقفا أمام النافذة وقد وضع المنشفة المبللة حول وسطه .. أخذ يغمغم وألقى المنشفة على المقعد وانزلق بين الأغطية .

– هذه الفتاة الملعونة ستسبب إصابتي بالالتهاب الرئوي وهو أسوأ ما يمكن أن يحدث لي .

استيقظت "شارلوت" في الحجرة السفلى مبكرة وأخذت تعد مؤامرة الانتقام بعناية ضد "راينر" .

ارتدت ثيابها بعناية وكانت راضية بثوب أبيض عادي جعلها تبدو أصغر سنا وأكثر براءة . نعم لقد كانت صغيرة وبريئة وإن لم يكن لمدة طويلة ، لو أن هذا الحارس الملعون وصل إليها .

كانت تحاول ألا تفكر في هذا عندما ذهبت إلى الشرفة وكان شعرها الأحمر الذهبي ينساب على كتفيها كستارة من اللهب ، وكانت عيناها اللتان تخفيان أفكارها السرية تلمعان مثل الزمرد .

كان موضوع مؤامرتها يقف في ظل عمود من الرخام ويرتدي سروالا ضيقا أسود يجذب الانتباه إلى جسده ذي العضلات ، في حين ارتدى قميصا أبيض يلتصق بجلده البرونزي . قالت له دون اكتراث ولوحت بيدها ناحيته :

– صباح الخير يا "راينر"

صبت لنفسها كوبا من عصير الفاكهة . أحست أنه فوجئ بهدوئها وخمن أنه كان يتوقع أن تلقاه بنوبة غضب عند رؤيته . أحست بالسرور لأنها وجهت له ضربة موجعة ألقت إليه ابتسامة ودودا وكأن الذي حدث في الحديقة لم يقع قط .

– هل تناولت فطورك ؟

– لا يا آنسة .

– إذن انضم إلي

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي دعته للفطور وأخذ مقعدا أمامها وسألها .

– ما خططك اليوم؟

– سأظل بجانب حمام السباحة وسيمر عليّ بعض الأصدقاء فيما بعد .

وضعت كريمة على قهوتها وقلبتها بدلال .

– تبدو شفتاك متورمتين ، إنني آسفة لأنني جرحتك ، ثم نظرت في قدحها وكأنها تشعر بالألم .

– أنا أستحق ذلك يا آنسة وأستطيع أن ألوم ضوء القمر وجمالك فقط كلاهما سحرني.

رفعت رأسها والتمعت عيناها الخضراوان .

– ياله من قول مجامل يا "راينر" !

– لا أقصد أن أهدئك يا آنسة "بوفيل" وأعني ذلك جيدا .

– شكرا لك .. وإذا كنت تخشى الطرد أود أن تعلم أنني غيرت رأيي وأنا واثقة في قدرتك على العناية بي وواثقة من أنك لن تكرر سلوك الليلة الماضية .

– إطلاقا وأقسم لك بشرفي .

كان ارتياحه باديا وأخفت "شارلوت" سرورها ، وعندئذ فقط تنجح خطتها .

استمرت في قولها بتراخ :

– اتصل بي سمسار عقارات هذا الصباح وعلم من السيد "لوبران" أنني أبحث عن معرض ورتب أموره كي يريني واحدا في "كان" باكرا صباحا .

قال "راينر"

– أتعشم أن يستقر رأيك على واحد قبل أن أترك العمل ، وأود أن أتمتع بنجاحك .

حذرته :

– قد يكون مكانا مروعا ، فقد أفلس الملاك السابقين .

– أستطيع أن أؤكد أن والدك لن يدع هذا يحدث لك .

– هذا يدل على أنك لا تعرفه . إذا لم أدر معرضا مربحا فسيقف ويجعلني أغلقه .

– أراهن أنك عندها ستثورين .

– بالعكس . سأثور لو فكرت أنه يدللني ، لأنني أعرف كم يكون عنيفا حتى إنه ليركلني عندما لا أستطيع أن أكمل أمرا بنفسي.

دفعت مقعدها للخلف :

– سألقاك عند حمام السباحة .

عندما لحقت به كان "راينر" في منتصف الدورة العشرين من السباحة ، ولكنه عندما خرج من الماء بدت أنفاسه غير لاهثة وكأنه بدأ – فقط – دورته الأولى . أخذت تردد في نفسها "ليس هناك رجل في جاذبيته" أخذ يسوي شعره بيدقوية جميلة الشكل . سحب مقعدا على بعد ياردات قليلة منها واستراح فوقه ، ولكن

كان يبدو عليه مظهر الحذر مثل النمر المستعد للهجوم عند شعوره بالخطر قالت :

- إنني أحس بالملل ، دعنا نلعب لعبتنا كانت تشتمل على اختيار موضوع متناقض في العادة من إحدى الصحف الصباحية وإجراء قرعة بقطعة نقود معدنية لاختيار أي الجانبين عليهما الدفاع عنه . ولكن لم يقرأ أحدهما الصحف ومن ثم أدارت الراديو لسماع الاخبار لاختيار أي خبر لإجراء المناقشة حوله . استرعى انتباههما اسم "تليجواي" لقد سيطر المتمردون أخيرا على الموقف وأعلن الجنرال "فارجار" نفسه رئيسا للحكومة . سألت "شارلوت" :

- هل سبق لك أن ذهبت إلى جنوب أمريكا يا "راينر" ؟

ابتسم

- لا ، إلا إذا حسبت حساب "أكابولكو" التي تشبه أي منتجع فاخر .

- هل ذهبت إلى هناك مع أحد مخدوميك ؟

- نعم .

لابد أنك سافرت كثيرا . افترض أن أسرتك تبعت والدك في الخارج عندما كنت صغيراً ؟

- أحيانا

قالت له بطريقة عرضية وهي تراقب وجهه.

- أتساءل هل التقى بالجنرال "راينر" ؟

لابد أنه أحد أقاربه .

ضحك "راينر" في نفسه وهز رأسه .

- جنرال ؟ هل تعرفينه إذن ؟

- لا .. ولكن "جوني" ، أقصد اللورد "كراكستون" ، ذكر اسمه أمس . لقد كان في المدرسة مع أحد أبناء الجنرال ثم أضافت بحدة :

- يالها من مصادفة إنكما تحملان نفس اللقب .

- إنه ليس اسما نادرا بل شائعا ، هناك "آل راينر" من الطبقة العليا وآل "راينر" من الطبقة المتوسطة .

لم تدر "شارلوت" كيف لها أن تواصل الموضوع دون أن تجعل فضولها واضحا، لذا غيرت تكتيكها تماما واقترحت أن يذهبا للزحلقة على الماء.

قال:

- أفضل أن نبقى على الأرض الثابتة في الأيام القليلة القادمة .

- هل تخشى أن أختطف في البحر ؟

- هذا محتمل .

- ليس هناك أفضل من اليقظة .

- نعم خاصة مع المرتب الذي أتقاضاه. كان هذا الرد وقاحة ممجوجة ذكرتها بأن أمنها مشترى ، وأن اهتمامه بها مجرد نتيجة لشيك مقبول الدفع . ومع أنها تعلم كل هذا فلماذا إذن يمكن أن تصاب بجرح في كرامتها ؟

تركت المكان بجواره وصعدت إلى أعلى لوح القفز ثم قفزت إلى الماء . استمرت تقفز مرة بعد أخرى لمدة ساعة ، وكانت تؤدي كل قفزة بدقة متناهية . لم يحاول "راينر" اللحاق بها وظل يراقبها من حافة الحوض وقد عقد ذراعيه على صدره

هل كان مقدرا لجسدها كما أنها تقدر جسده ؟ رددت هذا التساؤل وهي تصعد إلى اللوح للمرة التاسعة ، أحست أنها ترتعد فرفعت ذراعيها إلى أعلى كي تقفز صاح مناديا عليها .

- أعتقد أنك أديت ما يكفي اليوم من قفزات . تعالي واستريحي .

دهشت لأنه يأمرها بأن تفعل ما يريد . كانت على وشك أن تخبره بما يمكنه عمله عندما تذكرت خطتها . إن وضعه عند حده قد يكون أمرا رائعا ، ولكن الانتقام الذي تختزنه له في الغد لابد أنه سيكون أكثر روعة .

اعترفت بأنها تحس بالتعب عندما وصلت إلى جانبه .

- ولكن ما إن أبدأ التمرين حتى أنسى أن أتوقف . إنك حارس أمين وواع يا "راينر" سأطلب من والدي أن يمنحك علاوة

- لا أريد أجرا إضافيا لتحذيرك من أنك تتمادين في فعل الأشياء يا آنسة

"بوفيل" .
أحست بالسرور لأنها استطاعت أن تقلل من قيمته واستقرت فوق السرير الشمسي وأغلقت عينيها ..
بعد الظهر وصلت مجموعة من الأصدقاء بما فيهم "جوني" و"ليلا" وعند حلول الغروب وغرق الشمس في شعلة برتقالية في الأفق الأرجواني قدم بوفيه شمبانيا بجوار حمام السباحة ، ظل "راينر" مختفيا في الخلف كالعادة مما أحزن "ليلا" وصديقات "شارلوت" ولكن "شارلوت" نفسها كانت تحس به وهو يراقبها وقد ملأ عينيه دفء غير عادي وقد فكرت : ، لقد أثار رفضها له الليلة الماضية شعوره "بالأنا" وهو تحد لا يمكن لرجل مثله أن يتجاهله .
قابلت نظراته بجرأة وشجعته على الاعتقاد بأنها تقبلت وجوده بدون ضغينة . إن خيبة الأمل ليس من الصعب أن تصيبها ولكن تصميمها على التخلص منه في الحال وللأبد جعلها تمثل بسهولة - عندما يحضر أصدقائي مرة ثانية يجب عليك أن تنضم إلينا ولا تقف بعيدا عن الأنظار .
أخبرته بذلك عندما اختفت آخر سيارة في طريق السيارات في الساعة الثانية صباحا .
- إنه من البلاهة أن أستمر في معاملتك كسائق عادي بينما أنت في الحقيقة غير ذلك تماما .
- إنني أقدر لك اقتراحك يا آنسة "بوفيل" ولكن الأسهل لي أن أؤدي عملي دون تغيير وضعي الاجتماعي .
- على راحتك
وضعت قدما على السلم وتوقفت .
- أوه ! لقد كدت أنسى أن أخبرك ، لقد اتصل بي سمسار العقارات في أثناء تغيير ملابسي وسأقابله في المعرض الساعة العاشرة غدا صباحا ، وعليه أرجو أن تكون السيارة جاهزة في التاسعة والنصف .
- هل تظنين ..
ثم توقف "راينر" عن الكلام ثم هز رأسه وكأنه صرف النظر عن بقية الكلام .

اتسعت عيناها متسائلة .
- نعم ؟ لقد كنت تقول .
- لاشيء مجرد فكرة عابرة ، ومع ذلك بدا على وجهه تعبير هو مزيج من الانشغال والتوتر لم يسبق لها أن رأته من قبل .
غمغمت وهي تصعد السلالم "لينتظر حتى الغد" ومهما كان انشغال وقلق "راينر" الآن فإنه لا شك سيتضاعف غداً عندما يستيقظ ويجدني قد رحلت إلى "كان" بمفردي .

الفصل الحادي عشر

ضغطت "شارلوت" بقوة على بدال السرعة وأخذت تنهب الطريق وقد بيتت النية على أن تجعل المسافة بينها وبين الفيلا بعيدة كل البعد قبل أن يكتشف "مارك راينر" أنها رحلت . لم يكن هناك ما يشير إلى الوقت الذي سيعلم فيه بما حدث.
وأخذت تتطلع باستمرار بقلق في المرآة العاكسة وتحس بالراحة كلما لم تر أي أثر للسيارة الفيراري .
عندما يعلم والدها كيف استطاعت أن تفلت بمنتهى السهولة من "راينر" فلن يتردد في أن يجعله يحزم أمتعته ويرحل . وهو ما كانت بالضبط تريده أن يحدث
سيعلمه هذا ألا يقوم بالمطاردة غير المرغوبة لأية امرأة توظفه لديها في المستقبل .
هدأت السرعة عندما وصلت إلى منحنى في الطريق ثم أسرعت مرة ثانية .
كانت هناك رائحة حادة لاحتراق الكاوتشوك وكأنه اعتراض من الفرامل على هذه المعاملة القاسية ، ولكنها تجاهلت ذلك وفجأة ظهر أحد راكبي الدراجات من أحد المنحنيات جهة اليمين فضغطت الفرامل بشدة حتى كادت السيارة أن تقفز إلى أعلى ، دخل راكب الدراجة في سياج على جانب الطريق ليتجنب السيارةثم سقط على الأرض . كادت "شارلوت" أن تتوقف وتعتذر إليه لولا خشيتها أن يكون "راينر" في أثرها واكتفت بالصياح باللغة الفرنسية :
- أرجو عفوك يا سيدي .

ثم انطلقت بسرعة إلى الأمام . لم تأخذ الطريق الساحلي وإنما طريقا مختصرا إلى "كان" . لايزال عليها أن تذهب عبر "جوان ليبان" وعندها تذكرت الليلة التي جاءت فيها إلى هناك مع "مارك" . لم تكن قد تعرفت عليه إلا منذ أسابيع قليلة ومع ذلك بدت وكأنها قد غيرت تماما منوال حياتها ونضجت لدرجة لم تكن تتوقعها . طردت الفكرة من ذهنها وركزت على الطريق . ظهر ميناء "جولف جوان" المحتشد بالقوارب ثم اختفى بينما كان ظهور بلوكات المنازل بمثابة إعلان عن اقترابها من "كان" .

عبرت الشارع ذا الاتجاه الواحد ومركز المبيعات بشارع "الانتيب" . توجهت مباشرة نحو "الكروازيت" الذي ازدحم في جانب منه بالفنادق المتلاصقة بينما كان الجانب الآخر امتدادا للشاطئ كما كان كل شيء مرتبا ونظيفا هناك . حتى أشجار النخيل كانت تبرق بينما نظفت الشواطئ تماما . كانت الكمية الهائلة للسيارات الواقفة في أماكن الانتظار هي الدليل على العدد الهائل من الناس الذين يحتلون مساحة الشاطئ البسيطة .

ظهرت مساحة لانتظار السيارة فارغة بأعجوبة ودخلتها بظهر سيارتها بسرعة قبل أن يختطفها أحد منها ، وعندئذ فقط تنفست الصعداء . كانت الساعة تقترب من التاسعة صباحا وعندما فكرت أن "راينر" لم يدخل سريره قبل الثالثة والنصف صباحا - لأنه كان دائما يطرق الأرضية بقدميه قبل أن يفعل ذلك - فلابد أنه بدأ يتحرك الآن . عندما فكرت في ذلك كان فكرها قد استيقظ ورأت أنه قد أخذ حمامه ووضع مسدسه في جرابه تحت إبطه وشعر به باردا على جلده . عندما وصل إلى السلم المؤدي إلى القاعة لم يعد يحس به . لم ير "شارلوت" في أي مكان واتجه برشاقة إلى الجاراج الذي كان يحتوي على أربع سيارات .

لم تظهر حتى وضع السيارة الفيراري أمام الباب الأمامي والتوى فمه في غيظ . لقد فكر أنها كانت متفائلة للغاية عندما وعدته أن تكون مستعدة في التاسعة والنصف ، بل المعقول أن تستعد في العاشرة والنصف . قرّ قراره على عدم الصعود وانحنى على غطاء السيارة وهو ينتظر .

مرت عشرون دقيقة وتحول الهزل إلى جد لابد أنها مستيقظة الآن ، إذن لماذا لم ترسل لي كلمة تخبرني بأنها ستتأخر ؟ مرت عشر دقائق أخرى وأخذ يتردد هل يذهب للبحث عن خادمتها ، حينما ظهرت المرأة قادمة عبر القاعة . قالت له "ماريا" :

- لقد رحلت الآنسة .

رد عليها "مارك" .

- لا . لم ترحل ، لقد اتفقت معها أن نلتقي هنا .

رفعت "ماريا" عينيها نحو السماء وأطلق "مارك" لعنة ثم قفز في السيارة وانطلق في طريق السيارات كالمارد . هذه إذن طريقة للانتقام منه نتيجة لسلوكه الليلة قبل الماضية . لقد قبلها رغم أنفها وأوضح لها أنه سيدها ، وها هي ذي الآن قد أوضحت أن الأمر كان وضعا مؤقتا .

أحس بالألم في معدته من الخوف . ألا تعلم الخطر الذي تتعرض له ؟ وستعرض رقبته للقطع لوحدث لها شيء . أخذ يدعو أن تضغط على بدال السرعة فيما لو تعرضت لكمين وسيارتها "اللوتس" يمكن أن تكون كالقنبلة لو عوملت بالطريقة الصحيحة .

تجمع الخوف والغضب داخله وانحنى فوق عجلة القيادة متجاهلا حدود السرعة وأخذت الأنوار تختفي خلفه وتجاوز أتوبيسا ثم نهب طريق "الانتيب" متجها نحو "كان" . لو ظهرت الشرطة في أي مكان لانتهى أمره . كان بإمكانه دوما أن يعطيهم رقم هاتف للاتصال به ، ولأسباب أمنية لم يكن يحمل أية أوراق تثبت شخصيته . ولكن حتى يمكنه إقناعهم بذلك لابد أن تضيع لحظات ثمينة . اللعنة على "شارلوت" . عندما يضع يده في النهاية عليها سيظل يهزها حتى تصطك أسنانها .

في الوقت ذاته كانت "شارلوت" تتجاوز فنادق "المارتينز" و"الكالتون" وتمشي ناحية معرض "روزاليا" الذي كان يقع بين محلي فراء وجواهر . حياها شاب صغير ذو وجه أسمر خلف الباب الزجاجي .

- الآنسة "بوفيل" ؟ "الفونس جيزر" في خدمتك . أعتقد أنك ستجدين هذا

المعرض هو بالضبط ما تبحثين عنه .

تبعته إلى حجرة واسعة وفارغة بها سلم ذو ثلاث درجات تقود إلى دور مسحور في الخلف . قامت بجولة وكانت على وشك أن تمطره بالأسئلة عندما فتح باب بجانبها . ظهر "مارك راينر" كخيال نتيجة انعكاس الضوء عليه . كان في قمة الغضب بدرجة واضحة تماما في شده على فكيه ولهيب عينيه . زادت ضربات قلبها وكاد يقفز من صدرها بوحشية . هدأت نفسها قائلة « لا تكوني مجنونة .. إنه يعمل عندك لا أكثر » علقت على الموقف متهكمة :

– هل استطعت أن تعثر علي ؟

كان صوته هادئا مخيبا لآمالها .

– لم يتطلب الأمر مني تصريحا . إن سيارتك تقف خارج الصف وتعوق أكثر من سيارة ، ذكريني أن أعطيك دروسا في كيفية وقف السيارة للانتظار بطريقة صحيحة .

أحست بأن السمسار يراقبهما فهزت كتفيها وقالت :

مادمت الآن هنا فما رأيك في المكان ؟

قال متعمدا :

– سأخبرك عندما نصبح بمفردنا .

تجاهلته وتكلمت مع السيد "جيزر" .

– إن الموقع ممتاز ، ولكني أظن أنه ليس متسعا بالدرجة الكافية لمتطلباتي .

جاءها رده المعد في الحال .

– من السهل حل هذه المشكلة ، فإن عقد إيجار المستأجرين للدور العلوي ينتهي خلال بضعة أشهر ولك حق الشفعة في استئجاره .

– هل هو في نفس مساحة هذا المعرض ؟

– نعم مع اختلاف المدخل . لقد اشتريت الرسم وأحضرته لك .

فتح حقيبة أوراق وأخذ يبحث بين الأوراق ثم صفر بفمه وقال :

– يبدو أنني نسيته في المكتب سأذهب وأحضره .

قالت "شارلوت" :

– سأحضر معك .

– من الأفضل أن نفحصه هنا ، وعندها أستطيع أن أشرح لك كل شيء .

ثم وجه كلامه للسائق :

– إذا أوصلتني فسيكون في إمكاني العودة أسرع . قال "مارك راينر" :

– خذ تاكسيا وإذا لم تعد خلال خمس عشرة دقيقة فسنرحل .

عندما أسرع الرجل بالخروج حملقت "شارلوت" في "راينر" .

– لم يكن هناك ما يدعو لأن تكون فظا مع الرجل المسكين ، وليس لدي نية أن أرحل قبل فحص الرسومات .

نظرت حولها .

– يمكن أن يصلح هذا المكان والإضاءة غير سليمة ولكن ..

قاطعها :

– إنني مهتم أكثر بالخطأ الذي تفعلينه . ما الذي كنت تريدين إثباته بتدبير مقلب لي ؟

– أريد أن أثبت لك أنني قادرة على العناية بنفسي وأنني لست في حاجة إليك .

أخذت تطوح ذراعيها حولها وقالت :

– هل ترى أي مختطفين مختبئين في الأركان ؟

صاح بصوت عاصف :

– ليس معنى هذا أنه هناك من يتبعك ومن يراقبك من رجال "فارجار" قد ...

– إنك تحاول أن تخيفني حتى تحتفظ بوظيفتك . ولكن عندما يسمع أبي بما حدث هذا الصباح فسيطردك شر طردة .

– بالعكس . سألتصق بك الشهرين القادمين كالغراء بالخشب . وعكس ما تظنينه عني فإن والدك يوافق على أنني أحسن رجل لأداء المهمة .

قالت بثورة :

– لن أسمح لك بأن تتنفس في قفاي ، وأفضل أن أموت على أن أعيش كسجينة .

قال بسخافة :

– قد يكون هذا هو الاختيار الوحيد أمامك . ألا يمكن أن تدخلي في رأسك أنك الهدف الرئيسي ؟

أكدت بإصرار وبصوت عال :

– الجنرال "فارجار" أعقل من أن يختطفني لأن والدي إذا انسحب من "تليجواي" .. فسينهار اقتصادها .

– لن يتم ذلك إذا اضطروه للاستمرار في إدارة مناجمه لصالحهم .

– لن يفعل هذا أبدا .

– إذا أخذوك رهينة فسيوافق على أي شيء .

اقترب "راينر" منها خطوة .

– من أجل السماء أرجوك أن تنصتي .

– لماذا ؟

– لأنني مهتم بسلامتك ولأنني مهتم بك وبصيحة دافئة أمسك كتفيها .

– ألا ترين هذا ؟

وجدت "شارلوت" نفسها في ضياع لا تعرف ماذا تقول ؟ إذا كان يعلن لها حبه لماذا إذن هو غاضب ؟

استمر في الكلام بنفس الصوت الخشن .

– يعلم الله أنني حاربت نفسي كثيرا . وقاومت ولكني لم أستطع .. إنني أحبك .

غمغمت :

– أتعني عاطفة ؟

تنهد قائلا :

– لسوء الحظ ، إنه حب حقيقي رغم أنني في أحيان كثيرة أود أن أخنقك .

– يا للروعة !

حملق فيها :

– لا يعني حبك أنني لا أرى أخطاءك . أنت المرأة الوحيدة التي اخترقت جلدي . أنت تسليني سواء أكنت على رأسي أم على قدمي . والشيء الوحيد

الذي أثق به أن الحياة بدونك لا تطاق . عند سماعها إعلانه العاطفي أحست "شارلوت" أنها خائفة وضائعة ، خائفة من القوى التي بدأت تفقدها ، لأن جزءا منها كان راغبا في تصديقه والجزء الآخر لا يرغب .

قالت بلطف :

– لا فائدة ، قد يمكن .. لا يمكن أبدا أن يحدث شيء بيننا .

– ربما سيغير هذا من رأيك .

اجتاحها كالنسر واحتضنها وغطى فمها بفمه ، كانت شفتاه قاسيتين ومشتاقتين ، التهبت الحرارة فيه وشمت رائحة الرجولة مثيرة ذكرى صور للغابة وأشجار الصنوبر وضوء القمر والنجوم . حاولت أن تقاومه ولكنها كانت من الضعف بحيث لم تستطع حماية نفسها من فيضان عواطفها التي اجتاحتها ، تملكته اللهفة حتى تمنى أن يكون جزءاً منها . همس قائلا :

– لن أتخلى عنك أبدا .

كم هو سهل أن تحتقره عندما يكون وحشيا وتحبه عندما يكون حنونا . هل هذا لأنه بدأ يتقهقر ؟ وهل هذا ليقنعها أنه يهتم حقا بها ؟ وهل هذا هو أن جائزة اصطياد ابنة "شارل بوفيل" لا تعني شيئا بالنسبة له ؟

اختلط الشعور بالمرارة مع العاطفة ، وأعطاها ذلك القوة لمقاومته ورغم أنها لم تدفع جسده لأنه كان أقوى منها إلا أنها أحست بتراجعها عاطفيا . رفع فمه عن فمها ببطء وقال .

– أعرف أنك غير مكترثة بي .

– لأنني كنت أعاكسك . هيا اكبر يا "راينر" ليس بيننا شيء مشترك . أرجو أن تتركني ...

– ليس بعد ، لدي أشياء صغيرة أخرى أريد أن أخبرك بها . إنني أحبك وأريدك ألا تظني أن سلوكي في تلك الليلة يعني أنني لا أحترمك . وإذا كان ثمة شخص لا يستحق الاحترام فهو أنا شخصيا . لم يسبق لي من قبل أن فقدت سيطرتي على نفسي ، ولكنني وقتها أحسست بإحساس لم أحسه من قبل نحو أية امرأة

قالت بمكر :

– أنا الآن أصدقك . أنا صغيرة مرغوبة وغنية أكثر من أحلامك . لم إذن لا تريدني ؟

– ساكون أسعد لو كنت لا تملكين قرشا .

ضحكت :

– حقا إنك تعتبرني بلهاء ، أليس كذلك ؟

– أعتبرك فتاة لا تريد أن تصدق أنها يمكن أن تحب من أجلها هي فقط .

– بالتأكيد من شخص آخر غيرك .

أشعل الغضب نظراته .

– استمري على ما أنت فيه ولن يحبك أي شخص مالك لقواه العقلية وفي هذه اللحظة أنت صغيرة بدرجة كافية لأن تسببي لنفسك ضررا ولكن إذا استمررت في إلقاء نكاتك الحارقة فإنك سوف ..

تهكمت منه قائلة :

– هل زواجك مني سينقذني ؟ هل ستتعلم الحياة الحقيقية بالمعيشة في بيت عائلتك أم أنك تعتزم الانتقال لتعيش معي هنا ؟

– كفي عن هذا .

ثم قبض على شعرها ودفع رأسها للخلف . صاحت :

– إنك تؤلمني .

هذا يجعلنا اثنين . انظري في عينيّ وأخبريني هل أنا أكذب عليك ؟

كانت تريد في الحقيقة أن تفعل ذلك ، ومع ذلك رأت نفسها تحملق في عمق عينيه الرماديتين دون أن تصل إلى قرارهما .

غمغمت :

– أنا آسفة أنني استدرجتك يا "مارك" . كانت هذه هي المرة الأولى التي تناديه باسمه الأول بصوت عال .

– ولكن على الرغم من أنني منجذبة إليك إلا أنني لا أحبك . إن لديك أسرارا

كثيرة تخفيها عني .

انخفضت رموشه مما أعطى وجهه تعبيرا مغلقا وقال :

– إن والدك يأتمنني ، أليس هذا كافيا بالنسبة لك ؟

– ليس لديه حاسة المرأة وأنت تلعب لعبة مزدوجة ، ومظهرك لا ينم عن مخبرك ، وقد تكون أنت تدبر خطة اختطافي .. إذا ...

فجأة غطى فمها بيده وتصلب جسده كالنمر . امتلأت عيناه بالشرر من الغضب ، وتحول بعد ذلك إلى خوف عندما رأت تقاطيعه تزداد صلابة وشراسة وقسوة .

تحرك ذراعه الآخر ببطء وحرص ناحية جراب المسدس . سمعا صوتا مبحوحا لرجل .

– لو كنت مكانك لما فعلت ، إلا إذا كنت ترغب في أن أطيح برأسك .

أخذت "شارلوت" تلهث بينما حذرها "مارك راينر" وإن ظل ثابتا كالتمثال ، سأل في صوت ملول .

– هل هذا هجوم ؟

– نعم يا صديقي . عليك إذن أن تستدير ببطء .

عندما فعل رأت "شارلوت" رجلا ضخما في وسط الحجرة ، كان لون جلده كلون الزيتون ، وكان وجهه مملوءا بآثار الجديري يزينه شارب كث أسود ، وكذلك حاجبان غزيران داكنان . قال الرجل :

– هذا أفضل . الآن انزع مسدسك بحرص تام وأسقطه على الأرض .

انتظرت "شارلوت" أن يأتي "مارك" بحركة قتال ، وأذهلها أنه تحدث بصوت خافت :

– لا أريد أي متاعب . سنعطيك كل المال الذي لدينا وسننسى أننا رأيناك .

– لا نريد مالا ، والآن تحرك بعيدا عن الآنسة "بوفيل" .

سألته "شارلوت" .

– كيف عرفت اسمي ؟

أجاب الرجل .

– أعرف كل شيء عنك .

سألته .

– ماذا تريد ؟

– أنت تعرفين تماما ، وهو أيضا يعرف . وجه البندقية إلى وجه "مارك" وأكمل .

– أن نعتني بك .. لقد أدى مهمة عظيمة حتى اليوم .

توقف الرجل برهة عندما دخل اثنان آخران في نفس لونه وجسمه إلى المعرض، صاح : أقربهما من الباب .

– هل أنت مستعد يا "باريك" ؟

أومأ "باريك" وأشار إلى "شارلوت" .

– اذهبي مع "لوكا" واشبكي ذراعك بذراعه وهو لديه مسدس أيضا ، لذا عليك ألا تفعلي شيئا غبيا ، نحن لا نريد أن نقتلك ولكننا سنفعل إذا اضطررنا لذلك . أما بالنسبة لك ..

نظر "باريك" إلى "مارك" بينما وضع إصبعه الوسطى على زناد البندقية .

قالت "شارلوت" وهي تصرخ .

– لا تقتله .. إذا فعلت فسأقفز نحوه وعليك أن تقتلني أنا أيضا. أمرها "مارك"

– اهدئي .

– لن أفعل ، وإذا حاول هذا الملعون أن يؤذيك فسأشعلها حربا ، ومهما قال فإنني لا قيمة لي عنده وأنا ميتة .

صاح "لوكا" بنفاد صبر .

– هيا يا "باريك" لا يستطيع "جيزر" أن ينتظر في الخارج إلى الأبد .

أخذ "باريك" يلعن ويسب في غضب ثم خفض البندقية . كانت "شارلوت" تعلم أن انتصارها يمكن أن ينقلب إلى مأساة . هجمت على الرجل الواقف على الباب . كان أطول من "باريك" وأنحف منه ، له أنف أفطس وشعر خفيف . أمسك ذراعها بقوة بينما الرجل الأصغر الذي كان يقف بجانبه – وقد غطى عينيه بنظارة سميكة – ضغط على جانبها الآخر لدرجة أنها شمت عرق الخوف

الذي غطى جسمه .

حملقت حولها فرأت "باريك" يشبك ذراعه بذراع "مارك" وكأنهما صديقان ، وخرج الجميع للخارج . كان الرصيف حافلا بالناس بينما أخذت السيارات تشق طريقها بصعوبة في شارع "كروازيت" . بينما يتمشى المصطافون خارجين من فنادقهم عابرين الطريق نحو الشاطئ . كانت سيارة ستروين زرقاء منتظرة عند الناصية وقد جلس "الفونس جيزر" السمسار – على عجلة القيادة . دفعوا "شارلوت" و"مارك" إلى داخل المقعد الخلفي مع "لوكا" وصاحب النظارة السميكة الذي سمعت أحدهم يناديه "بورا" وجلسا على الجانبين . جلس "باريك" على المقعد الأمامي وفي الحال انطلقت الستروين مخترقة نهر المرور .

كان "باريك" هو أكبر المجموعة سنا وقائدها لأنه هو وحده الذي كان يصدر الأوامر وقد كان هو و"لوكا" داكني اللون بينما كان "جيزر" و"بورا" أفتح في اللون . كانوا جميعا بلون الطين . فكرت : "لهم عيون القتلة" ثم أحست بوخز الخوف . قال "مارك" .

– لن تفلتوا بفعلتكم .

غمغم "باريك" .

– لقد فعلنا .. إن خطف الآنسة "بوفيل" هو أصعب جزء والمحافظة عليها أمر سهل . زادوا السرعة وتحدث "باريك" إلى "جيزر" . أخذ قلب "شارلوت" يدق بعنف لقد كانوا "تليجوانيين" . إذن "مارك" كان على حق . أصغت لكي تسمع ما يقال .

كان "جيزر" يسأل :

– لماذا أحضرنا الرجل معنا ؟ وهذا يعني أن علينا أن نراقب اثنين .

عنفه "باريك" .

– اهتم بالقيادة ودع القرارات لي . ألقت "شارلوت" نظرة جانبية على "مارك" هل كان يفهم ما يقوله الرجال ؟ لقد قضى وقتا في "أكابولكو" لذا قد يكون لديه معلومات كافية من الإسبانية ليفهم حديثهم .

ما الذي كان يجري في رأسه ؟ هل لديه خطة لهربهما أم سيدع المختطفين

يتفاوضون مع والدها ؟ بدا مرتاحا للغاية . ربما يكون متحالفا مع هؤلاء الرجال وأن تهديد "باريك" بقتله إنما كان للتغطية ولحمايته . حاولت أن تفهم ما يقولونه باللغة التلجوانية فربما تصل إلى مفتاح السر .

– أستطيع أن أفهم سبب رغبتكم في اختطافي ولكن ليس هناك سبب للإمساك بسائقي .

لم يكشف صوتها عن أية علامة لعصبيتها .

ضحك "باريك" .

– كم أنت مهتمة بـ "مارك" ربما يكون حارسا فعليا لجسدك ! أليس كذلك ؟

غطى على قلق "شارلوت" صدمة سماعها "باريك" وهو يشير إلى اسمه الأول ولكنها بذلت جهدها كي تخفي ذلك وقالت .

– أعتقد أنكم من "تليجواي" ولابد أنكم تعلمون أنكم ستشوهون صورتكم السياسية بإيذائي .

– آه أنت تتكلمين لغتنا إذن ؟

– كذبت .

– لا ، ولكني أتعرف على لهجتها .

– إذن دعيني أؤكد لك أننا لن نؤذيك بشرط أن ينفذ والدك ما طلب منه .

هزت "شارلوت" كتفيها ونظرت عبر النافذة . كانوا قد غادروا "كان" ويتوجهون إلى داخل الأراضي . أدهشها أنهم لم يتخذوا الطريق الرئيسي للسيارات . وافترضت أن "باريك" وجده خطرا فمن السهل سد مداخل ومخارج الطرق الرئيسية ، وإذا كان هؤلاء الرجال يخشون أن يضبطوا فإن الفرصة أكبر في الإفلات إذا اتخذوا الطرق الجانبية .

سألت "باريك" .

– كيف عرفت أنني سأكون في المعرض ؟

– لقد كنا نتتبعك من شهور منتظرين أن يتولى الجنرال "فارجار" السلطة كي نختطفك . لقد عقد "بورا" و"لوكا" صداقتهما مع فنانك في "سان بول" ، واكتشفا أنك تبحثين عن معرض . وكنا نعلم أن "روزاليا" ، معروض للبيع

وحصلت على مفاتيحه أما الباقي فأنت تعرفينه .

– إلى أين تأخذوننا ؟

– إلى ..

قاطعه "جيزر" بسيل من اللغة التلجوانية الغاضبة محذرا "باريك" كي يبقى فمه مغلقا .

حدث جدل عنيف بين الاثنين ولجأ "جيزر" إلى الصمت . أكد هذا إيمان "شارلوت" بأن "باريك" هو القائد ومع ذلك فإنه إذا حدث له شيء فمن الواضح أن "جيزر" سيصبح المسيطر . كانت الفكرة لا تثير العصبية .

وصلوا إلى تقاطع طرق ، وساروا عدة أميال عبر شارع مهمل قبل أن يتوقفوا تحت ظل شجرة بلوط ضخمة . أعلن "باريك" :

– خذوا راحتكم حيث سنظل هنا إلى ما بعد الظهر بوقت طويل .

تكلم "مارك" لأول مرة .

– لماذا ؟

– لأن علينا أن نذهب عبر عدة قرى ومن الأفضل أن نفعل ذلك عندما يكون الناس في بيوتهم .

صاحت "شارلوت" .

– معنى هذا أن علينا أن نظل محبوسين في السيارة لساعات طويلة ؟

– نعم .

كانت تعلم أنه لا فائدة من المجادلة فحاولت أن ترتاح .

عند وقف موتور السيارة وبالتالي عدم تشغيل جهاز تكييف الهواء أصبحت حرارة السيارة لا تطاق خاصة وأن النوافذ ظلت مغلقة . وعلى فترات كان واحد أو اثنان من الرجال يخرجون لفرد أرجلهم ولكن لا هي ولا "مارك" سمحوا لهما بفعل ذلك .

أخذت الساعات تمر متثاقلة ، وأخذت "شارلوت" – التي خنقتها الحرارة – تتطلع إلى الطبيعة في الخارج . كانت الأرض محترقة بحرارة الصيف القائظة وكانت الشمس شديدة حتى أنها امتصت كمية هائلة من المياه . سرقت الخضرة

والثروة من الأرض البنية وحولتها إلى اللون البيج ، وحولت نباتات الأسوار من الأخضر إلى الرمادي . ولم يكن هناك سوى زهور نبات البوجنفيليا التي تلمع بلون أرجواني .

أخيرا أعلن "باريك" أنهم سيستأنفون رحلتهم . وساروا لمدة نصف ساعة عبر عدة قرى جبلية . وكما سبق أن توقع كانت أبواب الحوانيت المضلعة الصاج مسدلة بالفعل ، وبعكس المناطق السياحية كان موعد الإغلاق مبكرا أكثر .

ظلت السيارة الستروين تدرج في طريقها حتى تركت القرية الثانية بمسافة بعيدة وعندئذ انحرفت إلى طريق غير ممهد ووقفت أمام منزل قديم ريفي مبني بالحجارة له نوافذ ضيقة أمامه وطريق حجري رمادي وسقف مغطى بالقرميد الوردي . لو كان الوقت غير الوقت لأحست "شارلوت" بالبهجة من بساطته الريفية ، ولكنها تراه الآن كسجن لها . أمرهما "باريك" عندما دخلا قاعة مربعة بالتحرك .

- إلى الدور العلوي . لا أظن أن كليكما سيعترض لو شاركتما بعضكما في حجرة واحدة .

تقدم بسرعة وتجاوزهم كي يفتح بابا يؤدي إلى حجرة نوم صغيرة مفروشة بمقعدين خشبيين وسرير واحد مفكك . طلبت في الحال :

- أريد حجرة لي بمفردي .

- هذا ليس فندقا .

قال "مارك" :

- "باريك" على حق . لاتعقدي الأمور يا آنسة "بوفيل" .

التفتت "شارلوت" إليه .

- مع أي جانب أنت بحق الشيطان ؟

- مع جانب العقل . إذن كفي عن تعقيد الأمور . ظلت عدة ثوان لا تجد القدرة على الكلام وأخيرا سألت "باريك"

- متى ستتصل بوالدي ؟

- بأسرع ما يمكن . إذا نفذ ما طلب منه فستعودين إلى منزلك في خلال أيام

قليلة .

- لماذا لا يكون ذلك باكرا ؟

- لأنه على والدك أن يوقع مستندات موثقة تعطي حكومتنا كل رأسماله في بلدنا وعليه ، اكبتي نفاد صبرك واعتبري نفسك في منزلك مع مختطفك المخلص . خرج وهو يضحك بتهكم وأغلق الباب تاركا "شارلوت" تحملق في الوجه المتغضن أمامها وأخذت تتساءل هل هي محبوسة مع صديق أم مع عدو ؟!

الفصل الثاني عشر

لم تتحدث "شارلوت" إلى "مارك" إلا بعد أن اختفت خطوات "باريك" في الخارج .

- حسنا ماذا تخطط لإخراجنا من هنا ؟

- ليس لدي أية خطة . قد أكون موظفا لمراقبتك ولكن ما يدفع لي ليس بكاف كي أغامر بحياتي لو كانت كل أموال العالم .

- أيها الخنزير الحقير !

- يؤسفني أنك لا تحبين الحقيقة .

كان وهو يتحدث إليها يشير إليها بالصمت ويشير إلى الباب يريد أن يعرفها أن هناك من يتصنت بالخارج . ثم قال بصوت عال .

- خذي الأمور ببساطة وحافظي على أدبك . وكما قال لك "باريك" إنه إذا كان أبوك عاقلا فسيطلق سراحك خلال أيام قليلة .

سمعا صوت طقطقة خشب الأرضية بالخارج وسار "مارك" على أطراف أصابعه إلى الباب وألصق أذنه به . مرت عدة دقائق قبل أن ينتصب ويومئ برأسه ثم همس :

- لقد ذهبوا ، ولكن أقترح أن نخفض أصواتنا همست بدورها :

- كيف عرفت أنهم ذهبوا . لماذا لم تنظر من خلال ثقب المفتاح ؟

- لأجد نفسي أحملق في عين في الجهة الأخرى ثم ابتسم وأكمل :

– قد أختلف معك في الأمور الاجتماعية ولكن عليك أن تأخذي بنصحي عندما تتعاملين مع "باريك" وأمثاله .

– كم تبدو واسع المعرفة ! ولكنك تصبح ذا وجهين إذا اقتضت الأمور أليس كذلك؟ وبالمناسبة كيف تسنى لـ"باريك" أن يعرف اسمك ؟

– لقد كان يراقبنا من أسابيع عدة وسمعته يقول هذا ومن المحتمل أن يعرف عني مثل ما يعرف عنك .

واصلت هجومها :

– أراهن أنه يعلم عنك أكثر مما يعرف عني ، تجاهل "مارك" ملاحظتها وذهب إلى النافذة فالقت "شارلوت" نفسها منهارة على المقعد . لقد كانت مغامرتها الشجاعة من ساعات قليلة قد هدت من قواها .

فكرت بصوت عال "لو تركت الفيلا معه لما حدث لي ما حدث" .

– لسوءالحظ لا أتفق معك في هذا حتى لو كنت معك من البداية لكانت النتيجة في النهاية واحدة ، إنني مخطئ لعدم فحص كل شخص اتفقت معه على اللقاء. ومن المحتمل أن يكون "لوبران" – الرسام – مشتركا في المؤامرة . من أعطاك اسمه؟

– "ليلا" .

– آه لا أعتقد أنها تساعد المتمردين ، وأعتقد أن "باريك" كان يقول الحقيقة عن متابعة "بورا" "ولوكا" لك إلى استوديو "لوبران" وأنهما نقلا إليه المعلومات المطلوبة .

– ما هي فرصتك للهروب ؟

– ليست جيدة .

– ألا تستطيع الصعود إلى السقف ؟.

– علينا أن نخرج من النافذة أولا ، وعندها سيشاهدوننا .

– إذن علينا أن نظل هنا كالبط في الشمس !

– هذا أفضل من أن نصبح من الموتى . إن أفضل شيء تفعلينه هو أن ترتاحي . لماذا لا ترقدين ؟

– إنني جوعانة جدا لدرجة لا أستطيع معها أن أستريح ، لقد مضت ساعات

طويلة منذ أكلت .

– من المفروض أن يطعمونا في الحال . ليس من مصلحتهم أن يجعلونا نموت جوعا وهو ما يذكرني بأن أشكرك لمنع "باريك" من إطلاق النار علي .

صدته قائلة :

– لم أفعل هذا من أجلك . كنت أمل أن تكون أكثر فائدة لي حيا من أن تكون ميتا . كانت إجابته جافة :

– مهما كانت دوافعك – فإنني مدين لك بحياتي .

هزت كتفيها ونظرت إلى نفسها في المرآة الكالحة المعلقة على الحائط أمامها كانت في ثوبها الليموني اللون مثل زهرة النرجس بينما لمع شعرها المشتعل وظهر أكثر ثراء حتى في هذه الغرفة المعتمة الخالية من الإضاءة .

اقترب صوت أقدام ودار مفتاح في الباب ثم دخل "بورا" يحمل صينية . وضعها على المائدة الخشبية بجوار النافذة ثم انسحب خارجا حيث أغلق الباب بالرتاج خلفه .

حملقت "شارلوت" في الأطباق وصاحت – حساء ، وخبز هل تظن أننا سنحصل على شيء آخر ؟

– أشك في هذا . هيا تناولي الحساء وهو ساخن إن رائحته شهية .

– هذه كذبة لم أسمع مثلها من قبل ولكني جائعة لدرجة تجعلني لا أهتم .

أكلت بسرعة دون تمتع بمذاق الطعام ثم وضعت طبقها الفارغ على الصينية .

– أتمنى لو أن معي فرشاة أسنان . قال لها "مارك" .

– إن الملح على إصبعك هو أحسن بديل . تنهدت :

– هل بصراحة – يتوقعون أن يسلم أبي كل شيء يملكه في "تليجواي" ؟

– نعم ، وسيطلبون منه أيضا أن يصدر إعلانا يقول فيه إنه يؤيد النظام الجديد إنهم يؤمنون أنه إذا فعل هذا فستتبعه في ذلك المؤسسات الكبرى الأخرى التي ستجبر قوى الغرب على الاعتراف بالجنرال "فارجار" .

– لن يستسلم أبي أبدا للمتمردين .

– ليس أمامه اختيار آخر إذا أراد عودتك سالمة .

أخذت "شارلوت" تفحص "مارك" من أسفل رموشها . يا للأمر المضحك ! لم تعد تفكر فيه باعتباره "راينر" كان من الواضح أن هذا التغير متعلق بإعلانه عن حبه . الحب. فكرت بمرارة أو بتعقل إذا أردنا الدقة . وقبل كل شيء حتى لو كان متفقا مع "باريك" فإن ملايين آل "بوفيل" قد تكون حافزا كافيا له للتجاوز عن معتقداته السياسية.

حسنا ها هي ذي فرصتها وانتها كي تختبره . قالت له .

– لا أعتقد أن والدي سيستسلم بالسهولة التي تتوقعها وقد ينتظر ليرى إن كان في إمكانك إنقاذي .

– أرجو ألا ينتظر طويلا فليس أمامنا فرصة كبيرة للهرب فـ"لوكا" مرابط في الخارج و"بورا" يحضر له الطعام وهو ما يعني أنهم يحافظون على مراقبتنا باستمرار .

– أنت تعرف كثيرا عن نواياهم ربما أنت متورط معهم .

كان رد فعل "مارك" هو التهكم.

– أسف أن أخيب أملك ولكني رجل عادي يؤدي وظيفة أحبها كثيرا وهي العناية بالأغنياء وأن يعيش عيشتهم .

أخذت "شارلوت" تغلي غضبا .

– وهو سبب إعلانك الحب لي على ما أعتقد.

قال بلطف :

– أوه ! لا .. إنني كنت أعني ذلك .

– وماذا يدعوني لتصديقك ؟

– وما الداعي أن أضع نفسي تحت سيطرتك ؟

تجهمت وقالت :

– سيطرتي؟

إن الاعتراف بما أشعر به يجعلني خاضعا لك ويمكنك أن تضري بي كثيرا أردت

– أستطيع أن أفعل ذلك إذا كنت تحبني حقا .

ومع ذلك إذا استطاعت حتى أن تفعل فهي تعلم جيدا أنها لن ترغب في إيذائه.

أخذت عيناها تتجولان على تقاطيعه النظيفة الجميلة ، وعلى شعره البني الحريري المتموج دوما مهما حاول تمشيطه بقوة وعينيه الرماديتين بلون الدخان اللتين كانتا تحملقان في عينيها ومع ذلك لا تفصحان عن خبيئة نفس الرجل "آه يا ربي" لو استطاعت فقط أن تعرف ما إذا كان صادقا أم كاذبا .

أخذت ترتعد فأدارت رأسها بعيدا .

– ألا يوجد بصيص من الأمل في إمكان هروبنا ؟

أجاب :

– كان من الممكن أن نحاول لو كنا قريبين من مدينة ، ولكن حتى لو استطعنا الخروج من هنا دون أن نضبط – وهو ما لا يحدث – فعلينا أن نذهب بعيدا قبل أن نصل إلى الحضارة .

– ربما يكون هناك مزرعة أخرى بالقرب منا .

– لم أشاهد واحدة .

– يالك من خنوع ! .

إذا كانت قد طمعت بقولها أن تشعل حماسه فقد فشلت لأنه لم يزد على أن ابتسم .

– أفضل أن أسمي نفسي واقعيا ، لسنا نمثل فيلما لـ "جيمس بوند" فالرصاصات هنا حقيقية فعندما تموتين فليس هناك نهوض من الأرض عندما تتوقف الكاميرات عن التصوير . إذا عرضتك للخطر فسيصبح والدك ثائرا وله الحق ، ورهاننا المضمون للنجاة هو أن نجلس في هدوء وما إن يتأكد والدك أنك سليمة حتى .

– هل تعتقد أنهم قد يقتلونني حتى لو أن والدي فعل ما يطلبونه ؟

قال "مارك":

– لن يحدث طالما تولى المسؤولية "باريك" أما الآخرون فلا أطمئن إليهم .

– إنك ترعبني عن عمد .

– إنني فقط أحذرك ألا تحاولي تجربة مدى صبرهم .

صمت عندما عاد "بوران" لأخذ الصحاف فسأله بأدب :

– أعتقد أنك لا تريد أن تتجمد حتى الموت خرج "بورا" بسرعة وعاد في الحال ومعه بطانية خفيفة لونها رمادي .

فرشها "مارك" على السرير . كان الليل قد أرخى سدوله فأضاء مصباح النور ولكن الضوء الصادر عنه كان ضعيفا مما أضفى على الأشياء شكلا كئيبا وأصرت "شارلوت" على إطفائه . تحولت السماء الأرجوانية إلى اللون الأزرق الداكن غير أن ضوء القمر أنقذهم من الظلام تنهدت :

– لست أدري ما يحدث ، غير أنني منهكة للغاية .

– إنه الشعور بالضغط وعليك الاستلقاء ومحاولة النوم .

خلعت حذاءها باستسلام ورقدت على السرير . قال مقترحا :

– نامي تحت البطانية وهي نظيفة إلى حد ما .

طاوعته مرة ثانية وغطت نفسها حتى ذقنها . توترت وانتظرت ما ينوي فعله ولكنه جلس على مقعد ووضع أقدامه على الثاني . قالت له وضايقها أن جاء صوتها مهزوزا :

– لا يمكنك أن تنام هكذا ، ومن الأفضل أن تأتي إلى السرير .

– إنني مرتاح هنا .

– لاتكن أبله . على الأقل يجب أن نكون متحضرين في هذا الشأن .

نهض في صمت واستلقى بجانبها ولكن فوق البطانية وكان حريصا ألا يلمسها واستقرت ضربات قلبها على وتيرة هادئة ثابتة .

همست بعد فترة قصيرة :

– ستصاب بالبرد . غط نفسك بالبطانية فعل ذلك وهو لا يزال صامتا وحريصا ومع ذلك بدأت "شارلوت" تحس تدريجيا بحرارته ، كم كان متحجرا وساكنا ، أحست بقوته دون أن تدري لذلك سببا من الممكن أن يكون عدوا خطراً . ودت لو تعرف أنه يمكن أن يكون صديقا مخلصا ، أحست فجأة بالرعب مما قد يحدث لها فالتصقت به .

– لا أريد أن أموت . ليس هنا وليس بهذه الطريقة .

– لن تموتي يا آنسة "بوفيل" وسنخرج من هنا أحياء .

– كيف لك أن تكون واثقا إلى هذا الحد ؟

– لأن الجنرال "فارجار" لا يريد أن يتهم بأنه السبب في موتك .

– فهمت .

أغلقت عينيها ثم فتحتهما في الحال .

– إنه لأمر مضحك أن يستمر في مناداتي بالآنسة "بوفيل" حتى ونحن ملتصقان ببعض في هذه الحجرة هكذا .

قاطعها :

– حسنا كوني هادئة ونامي .

– إنني خائفة للغاية ومن المرعب أن أعرف أن الناس يمكن أن يكرهوني بسبب مركز والدي .

قال "مارك" بصوت ثقيل وهو يقترب منها .

– لا أحد يكرهك .

استكانت بين ذراعيه وأحست بأنها في مأمن ، ولم تعد تعتقد أنه يمكن أن يؤذيها .

– إنني سعيدة لأنك معي يا "مارك" .

– وأنا كذلك .

كانت أنفاسه دافئة فوق شعرها ، ومع أنها كانت تعلم أنها تواجه الخطر ، اشتاقت يائسة أن يقبلها . رفعت رأسها حتى كانت شفتاها أن تلامسا شفتيه .

قال لها في صوت مخنوق .

– لا تحاولي هناك حد لسيطرتي على نفسي .

توسلت إليه

– مجرد قبلة .

تنهد وهو يخفض شفتيه على شفتيها كانت صلبة وباردة ، وعلمت أنه ليس لديه

النية في تغيير مسلكه . ولكنها لم تكن لتقبل هذا . لقد كانت تحارب انجذابها إليه من البداية وها هي الآن في وضع تهديد، ولم تعد تقاوم أكثر من ذلك كان كل ما يهمها هو أنه أحبها ، وفي تراعيه أحست بأنها امرأة كاملة .

فتحت شفتيها واصطدم لسانها بلذة بشفته السفلى ، ولكن فمه ظل مغلقا فقرصته قرصة خفيفة . أخذت نفسا ولمست جسده بخفة وهي تقول .

– قبلني قبلة صحيحة .

– لا.جاءت صرخته من أعماقه ودفعها بعنف بعيدا ثم انقلب على جانبه .

– لا يا "شارلوت" لا تفعلي . لقد تجاوزت ولا تفكرين تفكيرا سليما . لا أستطيع أن أستغل الموقف .

همست وهي تلتصق به .

– أريدك ..

– أعرف وأنا أريدك أيضا ، ولكن ليس بهذه الطريقة وعندما تهبين نفسك لي أريد ذلك وأنت حرة ، وليس بسبب أنك خائفة وأنني الوحيد الذي تعتمدين عليه .

كان على حق دون شك وقد أحبته لأنه مهتم بها كثيرا حتى يجعلها تفهم أن عليها أن تكبح عواطفها . انزلقت وكورت نفسها في ظهره .

– يا عزيزي "مارك" إنني أثق بك أغلقت عينيها وتنفست في ظهره وهي تستعجب أنها في هذه الغرفة الكئيبة وهي جائعة وغير مغتسلة أصبحت أقرب من البهجة الكاملة عنها في أي وقت من حياتها .

الفصل الثالث عشر

استيقظ "مارك" عند الفجر وأدار رأسه ليتطلع إلى "شارلوت" بجواره كانت "شارلوت" لاتزال نائمة ، وكان شعرها متناثرا على وجهها . لم يسبق له أبدا أن رأها حلوة ومغرية كما يراها الآن . كان حاجباها يشبهان الهلال على خديها ،

وكانت شفتاها تنفرجان قليلا . اهتزت وكأنها كانت تحس بأنها مراقبة ، فسحب نفسه بهدوء من السرير حتى لا يزعجها وتسلل إلى النافذة . كان "جيزر" قد تولى الحراسة وكان يستند على البوابة ويلعب بإهمال ببندقيته ، وكأنه يتمتع بوجودها معه . تخشب عندما سمع صوتا بجانبه واستدار عندما فتح الباب .

وقف "باريك" على العتبة يحملق في هيئة "شارلوت" النائمة و"مارك" قال :

– لم نتمكن من الاتصال بـ "بوفيل" وعندما اتصلنا به بالمنزل أمس كان قد رحل إلى "نيويورك" .

لم يفاجأ "مارك" ففي الفترة القصيرة التي قضاها بالڤيلا رحل الرجل إلى الولايات المتحدة الأمريكية مرتين ، ومرة إلى "طوكيو" ، وأخرى إلى "سيدني" ، وشارك في اجتماعات في كل من "لندن" و"باريس" في يوم واحد .. قال "باريك" :

– من السهل متابعة مصدر مكالمة عن طريق القمر الصناعي ، وتركنا له رسالة بأننا وضعنا يدنا على ابنته وأننا سنتصل به هذا الصباح ، وهو ما دعاني للحضور جريا إلى هنا ثم لمعت عيناه الداكنتان وقال متهكما :

– لو أنني استأجرتك لحراسة ابنتي وأنها اختطفت كرهينة فلن تستطيع أن تعيش طويلا ، عندما أضع يدي عليك . وافقه "مارك" ثم قال :

– لم أكن كفئا أليس كذلك ؟ أود أن أتحدث معك .

– إذن تحدث ..

– ليس هنا وإنما على انفراد :

اصطحبه "باريك" إلى أسفل في المطبخ خلف المنزل . كان في أحد جانبيه حوض من الصيني كالح اللون مثبت في الحائط ، بينما وضع بجوار الحائط المقابل موقد غاز صغير أسود اللون . في حين أطلت من أعلى نافذة ضيقة على الحديقة كان الحشيش بها عاليا يصل تقريبا إلى وسط الرجل . ملأ "باريك" برادا من الصفيح ووضعه على النار .

– تحدث بسرعة أيها الإنجليزي ولا يسعدني وجودك هنا .

– لن أهرب منك وأنا مؤمن بقضيتكم .
– ياه !! ولهذا السبب كنت تحرس الوريثة .
– لقد أحضرتني ضمن طاقم الخدمة أليس كذلك ؟ وأنت لست الوحيد الذي يريد الفتاة إذ تريدها أيضا منظمتي فـ"بوفيل" يدير العديد من الشركات البريطانية ونحن ننوي أن نجعله يخفف من تحكمه .. صب "باريك" القهوة في قدحين وأضاف الماء الساخن ، كل ذلك في صمت ووجهه جامد كالقناع .
– هل كنتم ستختطفونها ؟
– نعم . لقد كان رجالنا يخططون لذلك من شهور ولكنكم هزمتمونا ، ولو مرت أربع وعشرون ساعة لكنا اختطفناها .
ارتشف "باريك" القهوة من قدحه بصوت عالٍ .
– ما اسم مجموعتكم ؟
– ق . ش أي قوة الشعب .
– لم أسمع بها أبدا .
سحب "مارك" مقعدا وأخذ يرتشف قهوته .
– كم عدد من سمعوا بالجنرال "فارجار" قبل الانتفاضة ؟
وافقه "باريك" على ذلك .
– هذا حقيقي هل أنت الزعيم ؟
تجهم وجه "مارك" .
– أتمزح ؟ إن زعمائي أغنياء وأقوياء هم مع الزعماء على السطح ولكنهم يعملون في الخفاء ضدهم .
دلت تقطيبة "باريك" على أنه وجد الفكرة مقنعة وأخذ "مارك" يضغط لصالح قضيته .
– سأعطيك رقما في لندن لتتصل به وسيؤكدون ما قلته .
– أسف أيها الإنجليزي . لأننا نعمل دوما بمفردنا .... وضع "مارك" قدحه على الرف وقال :
– لماذا لا نستفيد نحن الاثنان من هذا الوضع ؟ اتصل بلندن و ...

– لا . أنا لا أثق فيك .
سأل "جيزر" وهو يخطو إلى المطبخ .
– لا تثق بمن ؟ وماذا يفعل هو هنا ؟
قالها وهو يشير إلى "مارك" .
زمجر "باريك" .
– لا تتحدث إلا معي . ولا تناقش في سلطتي .
– عندما تتعرض حياتي للخطر من حقي أن أحاسب أي شخص .
تحدث "باريك" بلغته الخاصة ووضع الرجل الآخر عند حده . انفجر "جيزر" بالإنجليزية حتى يجعل "مارك" يفهم ما يقول .
– إنه يكذب . هيا تخلص منه .
تدخل "مارك" في الحديث .
– يؤسفني ألا تصدقني . لو كنا وضعنا يدنا على الفتاة قبلكم لحاولنا مساعدتكم . تهكم "جيزر" وهو يقول :
– كيف كان باستطاعتكم وضع يدكم عليها ؟
– لقد كنت أعلمها رياضة الزحلقة على الماء في الخليج . وكان قارب سرعة آخر سينتظرنا بعد ظهر اليوم على بعد نصف ميل وكان من المفروض أن نكون الآن في المغرب .
كان "مارك" يتحدث مباشرة إلى "باريك" .
– عندما يوافق "بوفيل" على مطالبكم سلموها لنا .
أطلق "جيزر" ضحكة أنثوية شيطانية .
عندما ننتهي منها فلا يهمنا أن نحتفظ بها .
تطلب الأمر جهدا جبارا حتى لا يوجه قبضته إلى وجه الرجل .
– اعتقدت أنكم ستؤذونها .
أعلن "باريك" بعظمة .
– لن نؤذيها .
زمجر "جيزر" .

– يا مغفل .

أخذ كل من الرجلين يحملقان في بعضهما بغضب وتراجع أصغرهما إلى الخلف.

ولكن "مارك" كان يعلم أن التوتر يمكن أن يتفجر أكثر عنفا في المرة القادمة .

أحس بأن قوته انسحبت منه . لقد ألقى زهره وخسر . وما لم يخترع شيئا آخر فإن عليه وعلى "شارلوت" العفاء . ومع ذلك ربما كان هناك "كارت" آخر يلعب به .

نهض بتثاقل وهو يقول :

– إذا وضعت يدي داخل بنطلوني وأخرجت مسدسا أرجوكما ألا تطلقا النار علي ؟

حملق "باريك" فيه وقد أخرسته المفاجأة .

– لقد أخذنا مسدسك منك .

– انظر .

خفض "مارك" يده ببطء داخل بنطلونه ثم أخرجها ثانية وقد وضع بين أصابعه مسدسا صغيرا ولكنه مميت . وضعه بعناية على المائدة وهو يقول :

– لو كنت أكذب عليك يا "باريك" لكان باستطاعتي أن أقتلك عندما كنا بمفردنا هنا . والمسدس مركب عليه كاتم صوت ، وعليه فلن يكون باستطاعة أحد أن يسمعه ، ثم كان باستطاعتي قتل الرجلين في الدور العلوي ثم أتحول للبحث عن "جيزر" والقضاء عليه .

كان بالفعل قد فكر في القيام بذلك ولكنه خشي ألا تتم على الوجه الصحيح .

استمر .

– كان في إمكاني قتلكم أنتم الأربعة مثل هذا .

وكرر القول وهو يصدر صوتا بأصابعه يشير إلى السرعة .

شحب وجه "باريك" ثم استدار إلى مواطنه وقال :

– حسنا . هل لاتزال تعتقد أنه يكذب ؟

بدا أن "جيزر" لا يستقر على رأي .

– من يعلم ؟ ولكن هذا لا يشكل أي اختلاف ، فلن أسمح لمنظمته أن تستغل الفتاة .

تحدث "باريك" إلى "مارك" .

– "جيزر" على حق . يسعدني أنك قلت لنا الحقيقة ، ولكن عليك أن تظل بالدور العلوي .

اتجه "مارك" إلى الباب وهو يقول :

– لقد أعطيتك مسدسي عن طيب خاطر وأرجو أن تتذكر هذا .

أخذ يتساءل عما إذا كانت تلك الحركة غير مثمرة ، أم مثمرة . عاد "مارك" إلى غرفة النوم .

الفصل الرابع عشر

فتحت "شارلوت" عينيها وأخذت تفحص السقف وتعجبت عندما رأت لونه رمادياً داكنا وبه شقوق وقشور ، ما الأمر ..؟ عادت بذاكرتها وأطلقت صرخة ثم جلست معتدلة وبحثت عن "مارك" .

لم يكن موجودا وهي وحيدة . أصابها الرعب وجرت نحو الباب ، لم يكن موصدا ولكنها عندما همت بفتحه تراجعت وهي تتذكر أنه حذرها أنها تعرض حياتها للخطر إذا حاولت الهرب ولكن أين هو ؟ هل قتله "باريك" ؟

كان الألم الذي اخترقها من القوة حتى أنها ارتمت على السرير . أخيرا واجهت الحقيقة واعترفت بأنها كانت طفلة في محاولاتها وادعاءاتها . لقد أحبت "مارك" ! رغم هذه الخلفية ولم تهتم بأن تكون ثروتها هي اهتمامه الأول ، وكل أمنيتها الآن أن تصبح زوجته ، لم يتزلف إليها إطلاقا ولم تغره بوضعها الاجتماعي ولم يخضعه ورغم أنها حاولت يائسة أن تجعله يركع على ركبتيه ، إلا أنه ظل رجلا معتزا بنفسه . أوه ! لقد أجبر على أن يقوم بدور متواضع ولكنه كان يعلم دوما أنه تمثيل ، وأنه رغم ذلك كان قويا ومصمما ولا ينوي الركوع على ركبتيه أمام أحد أيا كان .

ولكن لم يعد لديها الفرصة لتقول له كم هي مهتمة به ، وأخذ العرق يتصبب منها عندما أخذت تبكي على حياتها التي دمرتها ، وعلى حياتها هي التي لن تشبع

رغباتها من الآن وإلى الأبد . أحاطتها ذراعان قويتان كالإسار فصرخت وحاولت تخليص نفسها .

– اتبتي يا "شارلوت" إنه أنا ! استدارت بسرعة ورأت "مارك" فصرخت :

– لقد ظننت أنك مت . عندما استيقظت ووجدتك رحلت ...

طمأنها :

– أنا بخير ، لقد أردت الكلام مع "باريك" وذهبنا معاً للدور الأرضي لقد حاولت أن أكتشف ما إذا كانوا قد تحدثوا إلى والدك ولكنه طار إلى نيويورك أمس قبل أن يعرف أننا لم نعد إلى الفيلا لتناول الغداء .

قالت "شارلوت" :

– أراهن أنه طار عائدا في الحال عندما علم أنني غائبة . متى كلمه "باريك" هاتفيا للمرة الثانية ؟

– هذا الصباح .

لم تستطع التعليق لوصول فطورها المكون من القهوة ونصف فطيرة غير طازجة وطبق مملوء بمربى المشمش ، صبت قدحي قهوة وناولت واحداً لـ"مارك" ثم كسرت قطعة من الفطيرة تاركة الجزء الأكبر له . أخذها ثم قسمها مرة ثانية وأعطاها قطعة ثانية وقال بهدوء .

– يجب أن تكون القسمة عادلة .

كانت حركته أسرة ، ركعت فجأة على ركبتيها بجانبه وقالت :

– لقد كنت عمياء عنك يا "مارك" .

– هل كنت حقا ؟

– أنت تعلم جيدا أنني كنت كذلك، لقد أحببتك منذ البداية ، ولكني لم أعترف بذلك في هذا الصباح عندما ظننت أنك قتلت تيقنت من مدى غبائي . لا يهمني إن كنت أحب مالي أكثر منك ، ولكنك مازلت الرجل الذي أريده .

– هذه مجاملة في صورة ذم لم أسمع مثلها من قبل .

– لا أعتقد أنك تريدني أن أكذب عليك . أعرف أنك تعتبرني مغرية ولكني لن أخدع نفسي إذا قلت إنك كنت ستفعل ما فعلت في المعرض أمس لو أنني كنت

فقيرة .

– كم أنت على حق .

حطمها اعترافه السريع ولكنها أخفت ذلك ..

استمرفي حديثه :

– لو كنت فقيرة لطلبت منك الزواج بعد أسبوع واحد من لقائك . إنها نقودك الملعونة هي التي منعتني .

رفعها بين ذراعيه إلى أعلى :

– أعرف كل شكوكك فيّ ، ولكني مهتم فعلا بك اهتماما أكثر مما ظننت أنه يمكن أن يحدث لي بالنسبة لأي شخص .

أدار ذقنها وألصق فمه بفمها .. قبلها "مارك" بغضب وعاطفة ليس فيها حنان . أحست أنها كالزهرة التي أدفأتها الشمس . اشتعلت العاطفة بينهما مرة ثانية وكاد يحدث ما لا تحمد عقباه ولكنه تمالك نفسه بصعوبة ، وقال : ليس هذا بالمكان ولا بالوقت المناسب لممارسة الحب . وإلى أن يحين الوقت عليّ أن أسيطر على نفسي .

– لماذا إذن تريدني أن أفقد سيطرتي على نفسي؟

– حتى أنهي شكوكك حولي وكي أريك كيف سيكون الأمر بيننا . إذا بدأت ممارسة الحب معك فلابد أن تمر ساعات ، وأنا أفكر تفكيرا صائبا وأحتاج إلى كل إدراكي وعقلي كي أحاول أن نخرج من هنا أحياء .

كانت إجابته هي كل ما طمعت في الحصول عليه واختفت كل مظاهر قلقها .

– لا أستطيع أن أصبر حتى أرى وجه والدي ، عندما أخبره أنني سأتزوجك توقفت عندما رأت "مارك" يتخشب .

– ماذا في الأمر ؟ أنت تريد أن تتزوجني أليس كذلك ؟

قال وهو يتلعثم :

– كنت على وشك أن أحاول عرض الزواج عليك ولكنك سبقتني .

– عليك أن تكون على استعداد لبذل الجهد حتى يمكنك اللحاق بآل "بوفيل" كانت تداعبه ولكن مزاجها فجأة تغير فقالت بحماس :

– لا تحاول أن تكذب علي أبدا يا "مارك" إذا لم تكن ترغب في الزواج فاكذب
– كيف لا أريد ؟! إنه ما أردته منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليك ، وعرفت أننا لبعض وأنني أستطيع أن أحبك وأعزك وأفديك بحياتي .
عتم القلق عينيه . وعندما عرف السبب وضعت كفيها على شفتيه وقالت:
– لا تلم نفسك لأننا وقعنا رهينتين ، وكانت غلطتي أكثر من غلطتك لقد أثرتك بدرجة كبيرة حتى لم تعد تفكر تفكيرا سليما .
– إنني أتلقى أجري كي أفكر تفكيرا سليما ولن أسامح نفسي على ذلك .
– بل يجب . لا أريد زوجا يشعر بالذنب . وعندما وجدت أنه لا يزال يائسا غيرت الموضوع :
– ماذا ستصنع عندما نتزوج ؟لست من النوع العاطل .
قال بحرج.
– سأكون حارسك المجاني .
– هذا ما أضمنه ولكني أتكلم عن الوظيفة . هل تغامر بإدارة المعرض معي ؟
– هذا ليس تخصصي .
– هل يغريك العمل مع أبي ؟ لقد كان دائما يتمنى أن أتزوج شخصا يستطيع أن يدربني على تولي الأمر بدلا منه عندما يتقاعد .
– لا أعتقد أنني سأكون قادرا على أن أحنو حذوه ربما يكون هناك شيء آخر أستطيع أن أؤديه في المؤسسة كالمهمات التي تتطلب الدبلوماسية أو ما يشبه ذلك .
قهقهت :
– أستطيع بالتأكيد أن أشهد بدبلوماسيتك ، حتى دون محاولة ستجعلني أكل الشهد من يديك .
داعب ذقنها .
– بشرط ألا تعضيهما ،أما الآن فدعينا نترك مستقبلنا ينضج على نار هادئة ولنركز على الحاضر .
قالت "شارلوت" :

– عندما وجدت أنك رحلت هذا الصباح اكتشفت أيضا أن الباب لم يكن موصدا.
– لماذا لم تحاولي الهرب ؟
– لقد قلت بأننا معزولان تماما ولا نستطيع أن نجد طريقا للخارج .
– لقد غيرت رأيي. إذا أتيحت لك فرصة ما فعليك انتهازها .
– ليس بدونك .
أصر:
– اعذريني ، فأنت الوحيدة المعرضة للخطر وإذا استطعت أنت الهرب ، فأنا يمكنني العناية بنفسي .
ضغط ذراعها محذرا إذ فتح "بورا" الباب وأشار إليه :
– إنهم يريدونك في الدور الأرضي .
زمجر عندما رأى "شارلوت" على وشك أن تتبعه .
– ليس أنت .
سألته ببرود :
– هل تعترض إذا أردت الذهاب إلى الحمام ؟
انتظرها حتى دخلت الحمام ثم أغلق الباب عليها مفترضا أنها ستنادي عندما تريد الخروج منه .
وجدت لدهشتها أن النافذة الصغيرة كانت مفتوحة . كانت في المرة السابقة مغلقة . نظرت للخارج متعطشة أن تتنفس الهواء الطلق . أحست بالإثارة تتملكها عندما وجدت نفسها وجها لوجه أمام شجرة زيتون . شجرة ! ... مدت نفسها على أطراف أصابعها كي ترى بوضوح أفضل . كانت الشجرة جرداء وقديمة وكان الجذع سميكا والأغصان صلبة كاد قلبها يقفز من صدرها مما ألمها هل تجرؤ أن تغامر بتسلقها ؟ وتترك "مارك" الذي شجعها على أن تفعل ذلك إذا أتيحت لها الفرصة ؟
كانت فكرة هجره قد ملأتها بالعار ولكن "مارك" كان ملحا للغاية حتى أنها وجدت أن عليها أن تطيعه .

دون مزيد من التردد رفعت نفسها حتى وصلت إلى حافة النافذة وبدأت تحشر نفسها خلالها . كان ثمة فرع سميك يكاد يلمس حائط البيت الريفي فمدت ساقها حتى وضعتها على مكان ثابت .

لم يكن لـ"شارلوت" هذا النوع من الطفولة التي تتيح لها التجول والتسكع وهي حرة وتتسلق الأشجار ، وأحست بشعور غير عادي من الدوار عندما اهتز الفرع تحتها متأرجحاً . ماذا بها بحق السماء ؟ لقد كانت بعيدة عن الأرض أكثر عندما كانت تمارس القفز من لوح القفز في حمام السباحة . كتمت أنفاسها اللاهثة أمسكت بالفرع ،أخذت تستريح حتى بدأ تدريجيا يتوقف عن الاهتزاز . بمزيد من الثقة أخذت تتحرك ببطء للأمام باحثة عن موطئ لقدمها على فرع أخر . اشتبك فرع رفيع بشعرها فأطلقت صيحة ألم آه لو لم يكن لها فقط هذا الإحساس بالألم ولكنها كتمت صرختها . أخذت تفرق الأغصان بحرص وقد كشرت عندما رأت أنها تفقدكمية كبيرة من شعرها الأحمر الذهبي .

عندما حررت نفسها ثانية أخذت تنزل وهي حريصة على اختيار أكثر الأغصان سمكا وأكثرها ورقا حتى يخفيها عن الأنظار أطول مدة ممكنة .

انتقلت للفرع التالي الأسفل نظرت من خلال الأوراق واستطاعت للمرة الأولى أن ترى الحديقة بوضوح .

تملكها الرعب . كان "باريك" على بعد ياردات قليلة وهو يثرثر مع "مارك" اللعنة ! لقد ظنت أنهما في المطبخ جف حلقها وأصبح كعظمة قديمة عادت إلى الخلف وانتظرت . كانت واضحة في ثوبها الأصفر الفاتح وضوح زهرة عباد الشمس وسط حوض أخضر ، لو أن "باريك" نظر إلى أعلى للمحها في الحال . أخذ العرق ينساب على جبهتها وفي عينيها ولكنها لم تجرؤ أن تأتي بأية حركة لتجفيفه

مرت الثواني متثاقلة كل منها وكأنها دقيقة كاملة . لن تستطيع أن تظل في مكانها أكثر من ذلك . كانت ذراعاها تؤلمانها نتيجة إمساكها بالأغصان وأصبحت عضلاتها مهددة بأن تصاب بالتصلب .

كانت تفكر في جدوى صعودها ثانية إلى غرفة النوم عندما ضحك "باريك" ثم

لف حول نفسه وأمسك "مارك" وتحركا معا ناحية الحدود الخلفية للحديقة . بالحسن الحظ ارتفعت معنوياتها وخفضت نفسها بحذر إلى مجموعة الأغصان التالية التي تطوحت مهددة بسقوطها ودعت "شارلوت" ألا تنكسر ولكنها أخذت في التأرجح فظلت ثابتة كالفهد وانتظرت حتى ثبتت فسارت بحذر إلى أن أمسكت بجذع الشجرة . لم يكن لديها وقت للبحث عن تجويف لتضع فيه قدمها فقفزت إلى الأرض على العشب الطويل الذي جرح كفيها وساقيها .

أخذت تئن من الألم وظلت مستلقية وسط العشب الطويل . كان "باريك" لا يزال يعطيها ظهره ورغم أن "مارك" كان يواجهها فلم تكن متيقنة مما إذا كان قد رآها . سمعت "التليجواني" يضحك للمرة الثانية وكان يشاركه "مارك" في الضحك مما جعلها تتساءل عما يقولان :

أبعدت الأمر عن ذهنها وركزت على المهمة التي أمامها . كان سور مغطى بالأشجار أمامها على مسافة قصيرة عن يسارها . لم يكن لديها فكرة عما يوجد خلفه فقد يكون حقلا أو غابة ولكنها لم تكن في وضع يسمح لها بالاختيار .

قال "باريك" :

– ها هو ذا "جيزر" !

سطحت "شارلوت" جسدها على الأرض وكانت تتنفس بصعوبة . لم يحدث شيء وعدت حتى العشرين ثم حولت رأسها . لم يكن هناك أي أثر للرجل فاستمرت في الزحف ناحية السور .أمامها عدة ياردات قليلة وتنجح .

صاح "مارك" :

– ها هي ذي الفتاة !

توقفت "شارلوت" وقد شلتها المفاجأة هذا مستحيل ! ولكنه حقيقة أثبتها باندفاعه نحوها وإلقائه نفسه فوقها أذهلتها خيانته ونذالته فتمددت تحته وقد ملأ التراب فمها وفتحتي أنفها بينما ملأ الازدراء كل جسدها حتى بلغ الحلقوم . "لقد كان "مارك" واحداً منهم أخذ يغمغم في أذنها :

– بحق القديس "بطرس" ! لقد كان من الممكن أن تتلقي رصاصة ، لم يمنحها

أية فرصة للإجابة ، رفع نفسه عنها ورفعها على قدميها عندما انضم لهما التلجوانيان . قال "باريك"

– إن لك عينين حادتين يا صديقي ! غمغم "مارك" .

– من حسن حظكما وإلا لتمكنت من الفرار .

– ليس مني !

علق "جيزر" وهو يحتضن بندقيته وكأنها امرأة وقال "مارك" وهو يهزها بعنف :

– تعالي ! سآخذك إلى الدور العلوي . فحص "باريك" نافذة الحمام المفتوحة وصاح فيها – من الآن فصاعدا لن نتركك بمفردك إنك بلهاء حتى تعرضي حياتك للخطر ماذا يهمك لو انتظرت أياماً قليلة ؟

صاح "مارك" فيها بجفاء أكثر منه وجرها ناحية الباب الأمامي ثم صعدا إلى الدور العلوي . لم يتحدث معها إلى أن أصبحا بمفردهما في الحجرة .

همس في أذنها بوحشية :

– لقد كنت محظوظة أن رأيتك وإلا لتعرضت للقتل .

– أو تحررت ! لقد وقفتني ! لقد وقفتني !

– كان "جيزر" قادما من جانب المنزل ومعه بندقيته . وسمعته يقول ذلك ولو خطوت خطوات أخرى قليلة لراك ولقتلك .

صاحت :

– كان عليه أن يقول ذلك لأنه إن لم يفعل لبدا أحمق مثل "باريك" . كيف لك أن تخونني؟

حافظ "مارك" على صوته المنخفض .

– كان هذا من أجل سلامتك أنت ! ألا تستطيعين فهم ذلك ؟ أطل "بورا" من فتحة الباب وقال :

– هيه أيها الإنجليزي ! "باريك" يقول : إنه ليس من الضروري أن تبقى مع الفتاة و يمكنك الحضور والجلوس معنا .

ابتسم "مارك" :

– شكرا .

جعلت "شارلوت" نفسها بعيدة عنه بمسافة طول الحجرة . لقد اعتقدت للحظة أن سلوكه في الحديقة كان بدافع خوفه عليها ولكنها الآن متأكدة من العكس . كانت ترتعد من المرارة .

– أنت متحالف معهم . لقد كنت على حق فيما كنت أظنه عنك .

– لا تكوني بلهاء ، إنني حتى لم أكن أعرف اسم المعرض . ولقد كان مجرد حظ أن شاهدت سيارتك .

– لاعلاقة للحظ بالأمر . أنت خائن .

اذهب إلى أسفل عند أصدقائك وامكث معهم . إنني لا أريد رؤيتك إطلاقا .

الفصل الخامس عشر

سرق البؤس كل قوى "شارلوت" وسقطت منهكة على السرير ودفنت وجهها في يديها . كانت تحتقر "مارك" والأكثر من ذلك فإنها تؤنب نفسها للغاية لحبها له .

فاجأتها عودته السريعة ونظرت إليه باحتقار وانفجرت فيه :

– اخرج !

تجاهلها واقترب منها وقال في صوت منخفض وهو يكاد يهددها :

– لا تحكمي عليّ يا "شارلوت" فأنت لا تعرفين الحقائق .

– أعرف ما يكفي لكرهك .

تصلبت كفاها كالمخالب الوحشية ولكنه أمسكهما وشدهما إلى جانبيها .

– تمالكي نفسك لقد حضرت فقط لأخبرك أن "باريك" ذهب ليحدث والدك هاتفيا

– شكرا .. والآن اخرج .. توقفت عندما سمعت سيارة تجري مسرعة في البراري فحملقت خلال النافذة لترى سيارة فيات مترية قد بدأت في التوقف .

قال "مارك" من خلفها :

– إنها سيارة "جيزر" .. وهو أمر سيئ من المفروض أن يكون هو الذي يقود السيارة وبجواره "باريك" لمراقبته في أثناء حديثه مع والدك .

جاء صوت أنّة ألم شديدة من الدور الأرضي وكأنها صادرة عن حيوان جريح فارتعدت "شارلوت" وصاحت .

– ما هذا ؟

– سأذهب لأكتشف الأمر .

– عندما انغلق الباب خلف "مارك" جاءت صرخة أخرى من أسفل واكتشفت "شارلوت" أن أمرا بشعا يحدث هناك .

عاد "مارك" ووجهه شاحب مما يؤكد ظنها ، خطت دون إرادتها نحوه .

– ماذا حدث ؟

– لقد أصيب "باريك" وكسرت ساقه وحدث له ارتجاج في المخ وقد أحضره "جيزر" ثانية .

– أتعني أن والدي ...

– لا . لا شيء له صلة بوالدك . لم يتمكن "باريك" حتى من الاتصال به . لقد اصطدمت السيارة "الستروين" بعربة يجرها ثور على بعد نصف ميل من الطريق، لم يستطع "جيزر" أن يصحبه إلى المستشفى خشية أن يكون والدك قد أخبر الشرطة بأنك رهينة ، لذا أعاده ثانية إلى هنا .

– هذا يعني أن "جيزر" هو المسيطر الآن .

اقترب حاجبا "مارك" من بعضهما .

– أخشى ذلك فما إن يوقع والدك تنازله عن امتيازاته في "تليجواي" حتى يقتلك "جيزر" .

– لماذا ؟

– للتسلية ! لأنك تمثلين كل ما يكرهه . نظر "مارك" عبر النافذة .

– لا يوجد أحد على مرمى البصر بالحديقة ويبدو أن فرصتنا حانت كي نهرب. ابتلعت ريقها بصعوبة .

– هل ستساعدني على الهرب ؟

– وسأهرب أنا كذلك علينا أن نلجأ إلى نافذة الحمام ثانية فلن نجرؤ على استخدام الدرج .

– لن أذهب . إنك تحاول أن تقتلني ، وستحاول أن تجعل الأمر وكأنك اضطررت لقتلي عندما كنت أحاول الهرب .

– هل أنت مخبولة ؟ لماذا أريد أن أقتلك ؟

– لأنني ما إن أصبح حرة حتى أبلغ عنك وعمن تكون .

أنبها قائلاً :

– اخفضي صوتك وإلا تعرض كلانا للقتل .

– لا ليس أنت ؟

– أوه ! نعم أنا بالذات فـ "جيزر" ليس صديقا لي .

– هل يخشى أن تستولي على السلطة منه ؟

زمجرت . كان سبب رغبة "مارك" في الهرب واضحا : لم يكن بسبب خوفه على سلامتها وإنما على سلامته هو .

ودون أن يرد عليها ، جرها إلى الباب وفتحه بهدوء ، ثم وضع إصبعه على فمه محذرا وتوجه على أطراف أصابعه إلى نافذة الحمام . بعد دقائق رعب استطاعا تسلق شجرة الزيتون السوداء والنزول عن طريقها إلى الأرض ، همس :

– اخفضي نفسك فقد يكون أحد الرجال ينظر من نافذة المطبخ .

انحنت "شارلوت" واستندت على كفيها وزحفت وراء "مارك" .

كان النجيل ممتلئا بالحشرات الزاحفة وأكل من مرة منعت نفسها من الصراخ.

وصلا بعد وقت – بدا لهما أنه الأبد – إلى السور ، نصحها قائلا :

– الأسرع أن نقفز من أعلى السور ولكن الأسلم أن نلتصق بالأرض ونزحف من خلال السور . دعينا نجد فتحة ..

أخذا يتحركان بوصة فبوصة بجوار السور حتى وصلا إلى مجموعة شجيرات أوراقها متفرقة أكثر من غيرها مرا منها بصعوبة فوجدا نفسيهما في طريق

ريفي ضيق . قال "مارك" .

– يمكنك الآن أن تنهضي ، ولكن علينا أن نجري هذا الطريق ، ففي أي لحظة قد يذهب أحدهم للتفتيش في الحجرة سألته "شارلوت" .

– هل من الحكمة أن نجري في الطريق ، إنه أول ما سيبحثون عنا فيه .

– أعرف ، ولكنه أسرع طريق للخروج من هنا أمسك يدها وبدأ "مارك" يجري بدا الممر غير الممهد وكأنه بلا نهاية ، وأحست بألم حاد في جانبها عندما وصلا إلى طريق ثانوي . تألمت وهي تقول :

– ماذا سنفعل الآن ؟

– لنر هل يمكننا الحصول على وسيلة توصلنا إلى "جراس" ، فهي أقرب مدينة

– وما هو العيب بالنسبة للقرية ؟

– إنها أول مكان سيتوجه إليه "جيزر" .

ارتعدت "شارلوت" ونظرت حولها ولكن الطريق كان مهجورا . فجأة سحبها "مارك" سحبة قوية كادت تخلع ذراعها من موضعه وجرها للخلف عبر العشب المرتفع الذي يحد جانبي الطريق . وعندما كادت أن تعترض سمعت صوت سيارة منخفض . لم تجرؤ على التنفس إلا بصعوبة واستلقيا على الأرض بينما أخذ قلبها يدق دقا قويا كانت تسمعه في أذنيها حتى غطى على صوت موتور السيارة ، وكل ما كانت تعيه هو خوف يكاد يشلها . علق "مارك" .

– هذه هي السيارة "الفيات" ولحسن الحظ أنني تعرفت على صوتها .

أجابت "شارلوت" وقد انكمشت من الخوف .

– لن يذهبوا بعيدا قبل أن يعودوا ثانية إلى طريقهم .

– أتفق معك ، وعليه يجب أن نغير اتجاهنا وأن نتخذ طريق الجبال بدلا من الساحل لأنهم لن يتوقعوا هذا .

– بل سيفعلون . عندما يتقدم "جيزر" ميلا آخر دون أن يرانا ، سيخمن أننا اتخذنا اتجاها غير متوقع أنت ذكي وبارع يا "مارك" وهو يعلم ذلك كما أعلمه .

قطب "مارك" جبينه وقال :

– أنت على حق ولن أكون بارعا ولن نذهب لا هنا ولا هناك ولكن خلال اتجاه

متقاطع . هذه لغة الحرب يا "شارلوت" : إما النصر وإما الهزيمة .

أعطاها خوفها من الهزيمة القوة كي تحافظ على سرعتها معه حيث أخذا يتسابقان من حقل إلى آخر وهما قريبان قدر الإمكان من خطوط الجسور بعد فترة بدت وكأنها ساعات أحست بألم آخر في جانبها وسحابة حمراء أمام عينيها ، مما جعل من الصعب عليها الرؤية .

صاحت وقد انهارت على الأرض اللينة .

– لا أستطيع التنفس .. استمر أنت بدوني . سأختفي تحت السياج و ....

رفعها "مارك" على قدميها :

– لا يمكنك الاستسلام الآن سنذهب معاً أو نظل هنا معاً .

صرخت وساقاها ترتعدان .

– لن أستطيع أن أتحرك خطوة واحدة رفعها "مارك" بهدوء بين ذراعيه واستمر في الجري .

عندما التصقت به سمعت دقات قلبه الوحشية في أذنها مباشرة وكانت تتألم لإدراكها قوة تمسكه بالحياة وهي حياة يمكن لرصاصة من "جيزر" أن تنهيها .

ملأت الدموع عينيها وأخذت تطرف بسرعة . ورغم غدر "مارك" أحبته ولن تستطيع أبدا أن تسامحه .

غامرت بالقول :

– أعتقد أن باستطاعتي السير الآن لأنني أحس بأنني أفضل .

وضعها على الأرض ثم توقف كي يلتقط أنفاسه :

– هذه الحقول لابد أنها ملك لفلاح وإذا ساعدنا الحظ فسنصل إلى بيته حالا

– لا تراهن على ذلك ففي هذه المنطقة قد يعيش الفلاح في أقرب قرية .

– دعينا نأمل أن تكوني على خطأ ، قالها "مارك" ثم بدأ سباقا فجأة وكأنه سباق المائة متر عدواً ثم توقف فجأة ويشير إلى مجموعة أشجار حول بيت حجري رمادي اللون تقف خارجه سيارة "رينو" عتيقة .

– ها هي ذي وسيلة مواصلات .

ثم قال بألم :

– ولكن لا يوجد هاتف ولا كهرباء .

– كيف عرفت ؟

– لا أرى الأسلاك التي غالبا ما تكون معلقة على أعمدة في الهواء في المقاطعة الريفية .

– أنت تعرف الكثير عن كل شيء وأعتقد أن هذا يأتي من رجل ليس له نظير بين الرجال .

تجاهل ملاحظتها وقال :

– انتظري هنا واستلقي منخفضة فقد يكون "جيزر" على علم بهذه المزرعة ووضع أحد رجاله عينا له ، فهو بارع جدا ليفكر في كل الاحتمالات .

– وكذلك أنت .

قال وهو مقطب الوجه :

– من الأفضل أن تدعي الله أن أكون كذلك ، لأن حياتك تعتمد على ذلك .

– وحياتك أيضا لأنك لو أخرجتني من هنا حية فستصبح بطلا .

أحزنها أنه ضحك .

– لم أفكر في هذا من قبل . والآن مادمت ذكرتها فإن الفكرة تبدو جيدة .

صاحت :

– ألا تخجل من نفسك ؟

– لا مطلقا .

أشار إليها كي تظل في مكانها . تحرك بحذر ناحية المنزل . استلقت "شارلوت" على الأرض ذات الرائحة الزكية وحاولت ألا تفكر فيما يمكن أن يحدث لو أن أحد الإرهابيين رأى أحدهما . كان خيالها لايزال يخرب تفكيرها عندما عاد "مارك" وهو يلهث من مجهود الجري . قال .

– كل شيء آمن هناك حيث يعيش زوجان عجوزان وقد وافق الرجل على أن ينقلنا إلى "جراس" . لقد شرحت له أن سيارتنا تعطلت وأننا اختصرنا الطريق وفضلناه .

– لماذا لم تخبره بالحقيقة ؟

– قد يخاف أن ينقلنا .

ثم أمرها :

– أسرعي ! يجب أن نتحرك . كان الفلاح ثرثارا في الثمانين من عمره كان يسعل مثل سيارته "الرينو" وهي تعبر الطرق الريفية .

قال "مارك" عندما هدأت السيارة من سرعتها عند تقاطع :

– كان من الواجب أن نكون مستلقيين في الخلف .

– إذن لماذا لم نفعل ؟

– كيف يمكن أن نشرح ذلك ؟ قد يظن صديقنا الفلاح أننا هاربان أو أن أحد الناس طردنا وتخلص منا ، وعليه راقبي السيارة "الستروين" إذا رأيتها فقولي .

ركزت عينيها بعصبية على الطريق ورغم ذلك لم تر سوى طريقا لا نهاية له ، لا يوجد به أية سيارات فاستراحت وجعلت نظرها ينتقل إلى "مارك" . لم يسبق لها أن رأته بهذه الوسامة . لقد أدى إسراعهما عبر الريف إلى إضافة لون إلى وجهه بينما كان شعره المتناثر وقميصه الممزق قد زادا من حيويته الرجولية . ويداه اللتان كانتا جميلتي التكوين واللتان أمسكتهما وداعبتهما كانتا مملوءتين بخدوش طويلة وبالدماء الجافة دليلا على قيامه بتمهيد الطريق أمامها عندما كانا يزحفان عبر السور ، اشتاقت لأن تمسكهما وأن تشدهما إلى صدرها وأن تلعق الدم ...

ساعها الحنان الذي أحسته نحوه فنزعت عينيها بعيدا عنه وركزت على الطريق.

وصلا "جراس" دون أية حادثة وطلب "مارك" من العجوز أن يقف عند سفح التل الذي يؤدي إلى المدينة ، ناول "مارك" العجوز حفنة من الفرنكات وقصاصة ورق ، ثم تحدث معه بلغة الريف التي لم تفهمها "شارلوت" سألته بلهجة متوجسة عندما رحلت "الرينو" .

– ماذا قلت له ؟

– لقد أخبرته أنك ابنة مليونير وأن عليه أن يتصل بوالدك ، ويخبره أننا في

"جراس" ونحتاج إلى المساعدة .
اخترقها الخوف كالسكين . هل كان يقول الحقيقة أم أنه قرر أنه مخطئ في مساعدتها وأنه يتحول إلى الجانب المعادي ثانية ؟ ربما طلب من الرجل أن يتصل بـ "جيزر" .
أعلن مؤكدا وكأنه يقرأ أفكارها .
– إنني لا أكذب .
ورغم ذلك فإن نظرة عينيه الفارغة لم تقض على شكوكها ، فسألت :
– ماذا سنفعل الآن ؟
– نذهب إلى الشرطة إنها في أعلى التل زادت شكوك "شارلوت" .
– لماذا لم تطلب من الفلاح أن ينقلنا إلى هناك . ؟
– لأنه لم يكن يستطيع أن يصعد بالسرعة الكافية إذا ما كان رجال "جيزر" متخذين مواقعهم على مداخل الطرق القريبة ومن السهل تقييم الموقف إذا اقتربنا على أقدامنا .
– كيف عرفت أن هناك مركز شرطة ؟
– عندي خريطة توضح لي كل مواقع الشرطة في المنطقة .
قالت بمرارة :
– أعتقد أنك تستطيع تجنبهم . لولا حادثة "باريك" لما حاولت مساعدتي على الهرب .
لم يعتن بالرد عليها وسار فجأة إلى أعلى التل مقتربا من الحائط الحجري الذي كان يحد أحد جانبي التل وكانت "شارلوت" في أعقابه . كانت مدركة للمنظر الذي كانت تنظر إليه ، وكانت ترى ثوبها الملطخ بالقذارة وشعرها كان غير مرتب.
أخذ العديد من المارة يحملقون فيها وأخذت تتنازعها فكرة أن تتوقف وتطلب من أحدهم أن يساعدها عندما تحركت ناحية سيدة تدفع عربة طفل استدار "مارك" حوله وقبض على يدها وسحبها بالقرب منه . صاحت .
– اتركني .
– ليس قبل أن نصل إلى مركز الشرطة عندما اقتنعت أنه أحس بما تنوي فعله

اشتعل غضبها . قد يعني أنه يريد إعادتها إلى والدها ، ولكنه مرات عدة بدا عليه أنه ينوي مصرعها .
سال العرق على وجهها ولكن "مارك" كان يسحبها إلى أعلى الجبل بسرعة لم تمكنها من مسحه ، صرخت ورأسها يدور .
– خفف السرعة .
وقف تماما ولكن لكي يلصقها بالحائط الحجري صارخا :
– ارجعي إلى الخلف . "لوكا" واقف على عتبة مركز الشرطة .
– تملكها الرعب ..
– أليس هناك واحد آخر نذهب إليه ؟ من المفروض أن "جيزر" و"بورا" يكونان هناك . وأفضل ما نفعله هو أن نتصل هاتفيا بالشرطة من أقرب مقهى ، وأتذكر من آخر زيارة لي هنا أنه يوجد واحد عند الركن .
تحرك للأمام خطوتين بحذر كي تزداد رؤيته وضوحاً .
– اللعنة . إن "جيزر" جالس على المائدة خارج المقهى . علينا أن نجد هاتفا آخر سألته بصوت مهزوز :
– هل تعتقد أن لديه رجالا آخرين منتشرين في المدينة .
– أشك في هذا ، يبدو أن عددهم أربعة وإذا استبعدنا "باريك" المصاب يصبحون ثلاثة .
فشلت "شارلوت" في أن تستعيد هدوءها .
– أعتقد أننا معرضون للاكتشاف فيما لو تجولنا في الشوارع .
تلصص "مارك" بحذر حول الحائط مرة ثانية .
– يوجد مخبز عبر الشارع وسننتظر "لوري" يمر حتى يحجبنا عن عيون "جيزر" ثم نندفع إليه .
وفي أثناء كلامه مرت عربة خضراوات ضخمة من أمامهم واستخدمها "مارك" كغطاء واندفع معها عبر الطريق . سمعا صوتا عاليا خلفهما . لقد رآهما "جيزر" . اندفع "مارك" ناحية الممر مباشرة وفتح الباب نصف فتحة كي تمر منه .

وجدت "شارلوت" نفسها خلف متجر وأشارت إليه أن يغلق الباب .

همس :

– من الأسلم أن نتركه مفتوحا . دفعها خلف كومة من الصناديق وبدا أنه على وشك أن يجري بعيدا عنها .

كان توقعه صحيحا ، إذ بدأ صوت أقدام قادمة يقترب ثم توقفت .

سار "مارك" على أطراف أصابعه كي يتأكد من أن الممر خال ثم قال :

– سأحاول أن أصل إلى المخبز .

– لا تتركني بمفردي .

ستكونين هنا أكثر أمانا ، عليك أن تمكثي خلف الصناديق ، وسأتصل بالشرطة وأخبرهم عن مكانك ، ذهلت ونهضت قليلا .

– ألن تعود إذن مرة ثانية ؟

– إن هذا مخاطرة شديدة ، فقد يرصدني الثلاثي الرهيب وما إن أجري المكالمة فسأظل أراقب حتى يتم إنقاذك .

سخرت منه :

– ألا تعني أنك ستظل مختبئا ؟

وعندها إذا وجدني "جيزر" قبل الشرطة يمكن لك أن تجد لك مهربا ولكن إذا وجدتني الشرطة أولا يمكنك أن تظهر كبطل .

قال بصوت جاف :

– كم أنت ذكية في تخمينك !

ثم أشاح بيده ورحل ...

أخذت "شارلوت" تعد الثواني وهي يائسة . هل ينوي "مارك" أن يتصل بالشرطة كما قال ؟ أم أنه يبحث عن "جيزر" ؟ ومع ذلك فلا معنى لما تفكر فيه . لماذا يتحمل مشقة محاولة إنقاذها مادام – كما تظن – خطط كي يعيدها لـ "التليجوانيين" ؟ ما لم يكن يحس الآن بأنه ليس أمامهم أية فرصة للهرب وقرر أن يستغلها كورقة للمساومة ! « سأسلم لكم "شارلوت بوفيل" إذا حافظتم على حياتي » كانت الكلمات واضحة في عقلها تماما حتى أنها غرقت في بحر اليأس

ولكن ليس إلى الدرجة التي تجعلها تنتظر في مكانها وتقع في قبضة "جيزر" . من الأفضل أن تضع مصيرها في يدها وتحاول أن تصل إلى الساحل بنفسها .

ومن الناحية الأخرى ربما تكون قد حكمت على "مارك" بقسوة شديدة .

قد يكون حقيقة قلقا وشغوفا أن ينقذها حتى لو أنقذ نفسه فقط ، وتقديمها سالمة إلى والدها سيجعله يحصل على عرفانه القلبي بالجميل ، بالإضافة إلى مكافأة مجزية بشرط ألا تكشف كيف كان ذا وجهين . ولكن لماذا يجب عليها أن تحميه في الوقت الذي يستحق فيه أن يذهب إلى السجن ؟

كانت الإجابة واضحة فأخرجت تنهيدة ثم غيرت وضعها بهدوء أصيبت إحدى ساقيها بالتنميل فأخذت تدلكها بيديها وهي تئن حيث كان الألم كالإبر .

أحست بحفيف ناعم خلفها فتجمدت ، عاد صوت الحفيف ثانية فتراخت ، كان مجرد حفيف فأر بين الأوراق . حاولت أن تتغلب على رعبها منه ، ذلك المخلوق الضئيل ذي الذيل الحلزوني ، ولكنها تستطيع أن تفكر – فقط – في فأر آخر ضخم رمادي له عينان ثاقبتان وأسنان حادة . أخذت الضجة تقترب منها أكثر ، وأخذت تدعو أن تظل محتفظة بقوتها في مكانها كما أمر "مارك" . قبضت كفيها وأخذت أظفارها تنغرس بعمق في راحة الكف بألم شديد حتى أنها لم تحس بشيء ما بارد وصلب ينغرس في عنقها إلا بعد قليل . انتصب شعر رأسها فوق جمجمتها وتوترت أعصابها .

أمرها "جيزر" بصوت لا تعبير فيه :

– لا تتحركي وإلا سأطيح برأسك ؟

تصلبت بسبب رعبها الفظيع . لقد وشى "مارك" بها لقد غير جلده مرة ثانية وراهن بكل ماله على المتمردين .

أمرها الرجل بالوقوف :

– قفي لأن "بورا" في الانتظار في السيارة "الفيات" عند منتصف طريق التل ، أطاعته "شارلوت" وعندما ظهرا في الممر وضع "جيزر" ذراعه في ذراعها قائلا

– نحن صديقان ! أليس كذلك ؟

كانا كشابين يتمشيان في ضوء الشمس ، سارا فجأة في الطريق ذراعه في ذراعها وبدا كل شيء تماما كما كان من خمس عشرة ساعة مضت . كانت السماء لاتزال زرقاء ساطعة بينما أتخم الطريق بالسيارات في حين امتلأ المقهى المقابل بالناس .

سار "جيزر" و"شارلوت" بين سيارة لوري ودراجة وكان قد تقدمهما ببطء . كان أحد رجال البوليس ينظم المرور أسفل التل ، وكانت السيارات واللواري ملتصقة ببعضها . كانت ساعة الذروة .

تعطل سيرهما حيث كان "جيزر" دائم الحملقة من خلف كتفه وكأنه يخشى أن يقبض عليه . هل أساءت الحكم على "مارك" بعد كل ما حدث ؟ ربما لا يكون قد خانها وهرب .

ضايقها لوري ضخم انحرف نحوها متجاهلا الخط الأبيض خارج الصف . كان الرجل الجالس بجوار السائق يرتدي نظارة سوداء وكابا من القماش . كان هو "مارك" . كان يحاول أن يقترب منهما ويفاجئ "جيزر" على حين غرة .

لوح الشرطي بذراعه وبدأ المرور يتحرك ثانية . كان اللوري يتقدم بينما توقف "جيزر" في وسط الطريق كي يدع اللوري يمر ، هدأ السائق من سرعته ولوح لهما كي يمرا أمامه . توترت "شارلوت" . إذا ظلا في مكانهما فلن يستطيع "مارك" أن يفاجئ "جيزر" ويستطيع أن يفعل ذلك فقط إذا عبر التليجواني الطريق وظهره للوري . صاحت وقفزت للأمام .

– أكره أن أقف في منتصف المرور . اضطر "جيزر" أن يتبعها وتقدم اللوري للأمام أيضا وفتح الباب بهدوء وسرعة كي يتيح لـ "مارك" فرصة القفز فوق كتفي "جيزر" . ترنح وتخلصت "شارلوت" من قبضته وعدت للأمام وكأن الشيطان في أعقابها ناحية رجل الشرطة .

فجأة امتلأ المكان برجال يرتدون الزي الأزرق يندفعون للأمام من جميع الاتجاهات واتجه البعض ناحية "الستروين" التي كانت منتظرة بعيدا عند أسفل التل بينما ذهب البعض لمعاونة "مارك" في حين أحاط بها البعض الآخر

لحمايتها .

– أنت في مأمن الآن يا "شارلوت" اخترق "مارك" الدائرة الزرقاء ولم تتحقق من الأمان إلا عندما وجدت نفسها وقد رفعها بين ذراعيه . سألته وأسنانها تصطك

– آمنة ؟

– نعم ، وستكونين في البيت خلال ساعة .

لم يسبق من قبل أن كانت هذه الكلمة بهذه الروعة . حاولت أن تتكلم ولكن لم تخرج من فمها كلمة واحدة . أخذ وجه "مارك" يقترب أكثر ثم اختفى ، ودارت السماء حولها وارتفعت الأرض لتقابلها ، ولأول مرة في حياتها أغمي عليها .

الفصل السادس عشر

لم يصحب "مارك" "شارلوت" في السيارة التي أقلتها إلى والدها . وآخر مرة رأته فيها عندما كان يصعد إلى داخل إحدى سيارات الشرطة وقد دلت الابتسامات العذبة والتصفيق من حوله على أنه يعتبر دون شك بطلا .. آه لو علموا فقط ! لقد افترضت أنه ذهب ليقدم بلاغا وتساءلت عن القصة الملفقة التي اخترعها . سألت الضابط بجوارها ..

– ماذا سيحدث لـ "التليجوانيين" ؟

– سيقدمون إلى المحاكمة ثم يرسلون إلى السجن . لقد كنت سعيدة الحظ أن هربت ياآنسة .

هزت رأسها وأغلقت عينيها بكسل ، ولم تفتحهما إلا عندما توقفت السيارة عند أبواب مقاطعة "بوفيل" بعد دقائق أصبحوا عند الفيلا وقفزت من السيارة لتلقي بنفسها بين ذراعي والدها المنتظر الذي صاح :

– حمدا لله أنك سليمة .

أخذت الدموع تنساب على خديه .

– إنهم لم يسببوا لك الأذى هل فعلوا ؟ ألم يعطوك أية مخدرات ؟ إذا كانوا .

– إنهم لم يسببوا لك الأذى هل فعلوا ؟ ألم يعطوك أية مخدرات ؟ إذا كانوا .
– أنا بخير يا دادي .
ابتسمت بامتنان له ثم حيت هيئة الخدمة الذين كانوا ينتظرون بجانبه كان معظمهم يعرفها منذ أيام الطفولة وكان بعضهم يبكي بشكل واضح . قالت "إيفيت" وهي تهتز :
– لقد أعددت لك طبق المحار المفضل عندك للغداء يا آنسة "شارلوت" .
قبلت "شارلوت" خدها السمين .
– عندما أنتهي من حمام طويل ساخن سأصبح جاهزة لك .
اهتزت "إيفيت" من السعادة ، وأسرعت "ماريا" إلى الدور العلوي أمام "شارلوت" كي تعدلها الحمام .
احتضنها والدها بقوة ثم ذهب معها إلى حجرة نومها ثم وعدها أن يعود إليها عندما تتمالك نفسها .
استرخت "شارلوت" في الماء الدافئ المعطر فذهب عنها توترها تاركة خلفها ضغطا كان من الممكن أن يسبب لها الاكتئاب . لقد نالت حريتها ، ولكنها لم تعد تمتلك "مارك" . لقد عرفته لعدة أسابيع قليلة ولكنه في هذه الفترة كان مرافقها الدائم ، ولم يكد يغيب عن عينيها ، وإذا توخت الأمانة مع نفسها لم يغادر أفكارها أبدا ولكن من اليوم لن تكون لديها النية أبدا أن تراه ، أو تفكر فيه ثانية ، ورغم ما قد يكون قد ابتكره من قصص للشرطة ، أو لوالدها فهي تعرف الحقيقة ، ولا تزال مترددة حول ما إذا كانت تخبر والدها وتدعه يقرر بنفسه ما يفعل أم لا ؟
إذا تسترت عليه فقد يكرر قذارته مع شخص آخر كانت الفكرة من البشاعة حتى أنها قفزت خارجة من البانيو وتناولت منشفتها . كان الأمر خطأ أخلاقيا لو أنها استمرت على صمتها ، حتى لو كان هذا يعني أن يذهب "مارك" إلى السجن .
"السجن!" لقد كان الأمر أكثر بشاعة أن تفكر فيه وهو سجين لسنوات . لقد مزقها عدم استقرارها على رأي حتى أنها أخذت تذرع الحجرة ذهابا وإيابا ولم

تتوقف إلا عندما دخلت "ماريا" تجر عربة محملة بالاسبراجوس الطازج وطبق المحار الموعود وصحن من الخوخ الطازج .
لكن "شارلوت" فقدت شهيتها وأخذت تحملق دون تركيز على الطعام عندما دخل والدها . انحنى وركز عينيه عليها .
– إنك تبدين أحسن بكثير .
كذبت عليه .
– إنني أشعر بذلك .
– حسنا ، لقد اتصل بي "مارك" من لحظات من مركز الشرطة في "نيس" .
سقطت الشوكة من يدها على الصينية :
– ماذا قال لك ؟
– كل شيء : كيف اختطفت من المعرض وأنه كان يخشى أن يهرب معك حتى لا تتعرضا للقتل ، ولماذا غير رأيه عندما أصيب "باريك" ؟ حمدا لله أنه فعل . إنني متأكد أنه على حق بالنسبة لـ"جيزر" وأنه كان سيقتلك في الحال بعد أن أحقق مطالبهم .
– لقد انتهى الأمر الآن يا دادي ثم احتضنته . كانت غير سعيدة لامتقاع لونه وشحوبه وقالت :
– انس الأمر
– لا أستطيع . عندما أفكر كيف كان من الممكن قبل وقت قريب أن أخسرك ...
أخذ يمسح على شعرها بيد مرتعشة .
– لقد نويت أن أتفق مع الجنرال "فارجار" حول امتيازات التعدين الخاصة بي في "تليجواي" . وأرجو ألا تفكري أنني أستسلم للابتزاز فإن ما أفعله هو أنني أخضع لما لابد من حدوثه .
كتمت "شارلوت" تنهيدة .
– أعلم . هل عليّ أن أظل تحت الحراسة دوما يا دادي ؟
– إلى حدما ولكن ليس بواسطة "مارك" دون شك .

– لم أكن أريد ذلك . بعد الدور المزدوج الذي لعبه ، لا أريد أن أراه مرة ثانية
هدأ من روعها :
– أفهم كيف تشعرين .
– هل تعني أنك .. أنك تعرف ؟
– بالتأكيد ، ولكنه أنقذ حياتك يا عزيزتي وبدونه كنت ستصبحين ميتة .
قبلت "شارلوت" رأسه .
– مازلت مذهولة كيف تغفر له؟.
– أستطيع أن أغفر له كل شيء لأنه استطاع أن يعيدك إلي سالمة .
– ولكن ماذا لو كرر سلوكه مع شخص آخر طلب منه حراسته ، ألن تحس وقتها أنك المسؤول ؟
– لقد أكد لي أنك آخر مهمة سيقبلها . حملق "شارل بوفيل" في وجهها :
– لماذا أنت سعيدة لهذه الدرجة يا عزيزتي ؟
اعترفت :
– إنني أفكر في "مارك" هل لدى الشرطة أية فكرة عن أنه ...
– كل ما يعرفونه هو أنه السائق الخاص بك ، ولقد قلت صراحة لرئيس الشرطة إنه يجب ألا يعرف أحد أنك كنت رهينة وكلما قل ذكر ما حدث في الأخبار كان أسلم .
قالت بلا اهتمام :
– هذا سيسعد "مارك" .
– نعم ، ولكن انظري يا عزيزتي أنا أعرف أن "مارك" قد لطخ تاريخه بعملية الاختطاف ، ولكنه نظف صفحته عندما فر معك . وكانت شجاعته في التعامل مع "جيزر" من اللوري أمرا يستحق الثناء . هل تعلمين أن الشرطة أرادت أن تتولى الأمر ولكنه أصر على أن يقوم بالمهمة بنفسه ؟ لقد بدا أنه فكر أنه الوحيد الذي يمكن أن يقف ذلك الخنزير اللعين عن إطلاق الرصاص عليك أولا .
أحست "شارلوت" بالمرارة في فمها ، فهي كما توقعت أن إنقاذ "مارك" لها جعل منه بطلا .

– مازلت أظن أنه خسيس ولا أدري كيف تتحمل الحديث معه . لو أنني .
قاطعها رنين الهاتف في الحال . كان "جوني" يطلب مقابلتها . ورغم أن إغراء الاختفاء عن جميع الرجال كان قويا ، فقد كانت تعلم أنها لن تستطيع أن تنسى "مارك" بالاستكانة . قالت له .
– امنحني فرصة لأستريح ساعات قليلة يا "جوني" ثم احضر هنا .
سألها والدها عندما انتهت المكالمة .
– هل لا يزال على قائمة محبيك ؟
– نعم وقد أتزوجه .
لفت ذراعها حول وسط والدها .
– أوه يا دادي كم أحبك !
لمس أرنبة أنفها وقال :
– يا للغرابة ! هيا خذي راحتك يا عزيزتي سأراك فيما بعد .
عندما دخلت "شارلوت" أخيرا غرفة المعيشة وهي تهتز مرتدية سروالا أحمر ذهبيا كان تقريبا بلون شعرها . كان "جوني" مرتخيا في مقعد ذي مساند يدردش مع والدها . قام بسرعة واتجه إليها واستبدل تحيته اللئيمة بعناق متوحش .
– كم هو رائع أن أراك يا "شارلي" ! لقد ملأ والدك رأسي بكل التفاصيل المثيرة .
– لم تكن مثيرة لهذه الدرجة .
أضاف والدها ووافقه "جوني" وهو يهز رأسه .
– الفضل لـ"مارك" .
– لابد أن أقول إنه أدى عملا رائعا يا سيدي ، ولم أتوقع أبدا أنه على هذا القدر من الشجاعة سخرت "شارلوت" :
– سيستمر في خداع الناس طوال حياته وعندما رأت الرجلين ينظران إليها بدهشة ذهبت إلى الحديقة .
كانت الأمسية حارة رطبة بينما ظل النسيم دافئا من الشمس ، فكرت أين

"مارك" الآن ؟ هل هو حر ليدبر خطة شنيعة أخرى ؟ على العكس من والدها كانت تعتقد أنه لم يؤد دوره بطريقة مستقيمة .

حاولت أن تكتم الساعات المثيرة التي قضياها في حجرة النوم الصغيرة في البيت الريفي ولكن كان من الأسهل أن تتوقف عن التنفس من أن تنسى . كانت ذكرى لمساته وشعورها بصلابة جسده وأنفاسه اللاهثة عندما حارب نفسه وانتصر عليها . كل هذه الأفكار كانت تطاردها ، ويمكن أن تستمر إلى آخر أيامها ، لو أنه فقط استمر في محاولته حتى استسلمت له وهو ما كانت تتوبه ، كانت على الأقل عرفت روعة الاتصال المثالي . ولكانت على استعداد لتقبله بعد ذلك .

عندما استدارت لتدخل توقفت وكأنها اصطدمت بجسد كانت تحلم ! لا ، لم يكن حلما بل كابوسا عاد إلى الحياة بل لم يكن كابوسا ، وإنما حقيقة ، لأن الرجل الطويل المتناسق الأعضاء الذي كان يتهادى عبر النجيل كان الرجل الذي أملت ألا تراه إطلاقا أهو بهذه الوقاحة حتى يأتي إلى هنا . يا له من محتال !

قال ببساطة :

– هالو "شارلوت" إنني سعيد أن أراك وقد عدت كسابق عهدك .

– لقد عدت إلى نفسي فعلا .

نظرت إليه بتعال ورغم ذلك اقترب منها فأحست بالصدمة من ظهوره . كان يرتدي بنطلونا بحريا وقميصا أزرق فاتحا وهو نفس الزي الذي أسر فيه ولكن البنطلون كان ممزقا بينما تلطخ القميص بالدم . كان وجهه قاتما من التعب بينما كان على خده ورم أرجواني اللون كان ذلك اللون ينعكس ظلالا تحت عينيه . كان اشتياقها لأن تحتضنه شديدا وكان عليها أن تقاوم ذلك بغضب .

– كيف تجرؤ أن تعود إلى هنا ! هيا اخرج !

عندما لمح والدها "مارك" عبر الباب الزجاجي ، ناداها وأسرع نحوهما ولكنه توقف .

– ماذا حدث لك ؟

صاحت:

– هل أنت في حاجة إلى السؤال؟

أسرعت للهروب لكن "مارك" اعترض طريقها .

– ألا يمكن أن تسامحيني يا "شارلوت" ؟

– إطلاقا .

– رأت بركن عينها أن والدها عاد للداخل .

– قد تكون تمكنت من إقناع دادي أن يسامحك ولكن لن تستطيع ذلك معي .

– لا أرى أي خداع في الأمر ، لقد فعلت ما كان علي أن أفعله .

– من أجل معتقداتك على ما أظن ؟

– نعم ، ولكن أيضا لأن تلك وظيفتي .

– هل هذا كل ما يهمك ؟ الوظيفة ؟ أوه إن هذا يزيد من ازدرائي لك .

تركته وهي غاضبة .

– لماذا عدت ؟

– كي أجمع حاجياتي وأتحدث مع والدك بشأننا .

– بشأننا ؟ أتظن أنني ..

تلعثمت وهي تقول

– إنك مجنون لقد أخبرتك في البيت الريفي عن رأيي فيك .

– لا يمكن أن تعني ذلك الآن . يا "شارلوت" إنك تحبينني . فطريقة تقبيلك لي .. دعيني ألمسك ..

– إذن ماذا ؟ لقد كنت خائفة لدرجة الموت وكنت أمامي .

غرست أظفارها في راحة يدها وحاولت أن يبدو صوتها مسليا .

– كل ما كان بيننا هو الجنس وعندما تنتهي بهجة الجديد سرعان ما تحس بالملل . ويدهشني أنك تفكر عكس هذا .

كان وجهه داكنا قبل هذا الحديث ولكنه الآن أصبح معرضا لكل الألوان ، استدار نصف دائرة فرأى "جوني" في الباب بجانبها .

قال لها بلهجة جامدة .

– أعتقد أن "جوني كراكستون" هو نمطك المفضل !

كذبت وهي ترد :

– لقد تحققت من ذلك عندما كنت رهينة . إنني أنوي أن أتزوجه .

– إذن ليس هناك المزيد مما يمكن أن يقال . أتمنى أن تصبحي سعيدة يا "شارلوت" . الآن إذا سمحت لي سأودع والدك وأجمع أشيائي .

هزت كتفيها وذهبت بعيدا .. لم تعد لغرفة المعيشة حتى غادر "مارك" الحديقة وذهب لحجرته . أنبها والدها :

– لا أستطيع أن أستوعب موقفك نحو "مارك" . لقد غامر بحياته لإنقاذك .

– لينقذ جلده هو .

أطاحت ذراعيها في يأس وأكملت .

– قد يكون غامر أمام رصاصة "جيزر" ولكن هذا حدث فقط في النهاية عندما تبين له أنه من الممكن الإمساك بهم، ولو أنه تأكد من انتصارهم لا نضم إليهم ، إنه خائن ذو وجهين يا دادي ولا أستطيع أن أنسى ذلك حتى لو استطعت أنت أن تنسى .

ذهل "بوفيل" وظهر ذلك جليا عليه :

– خائن ؟ إنني أعلم أن "مارك" كان مخطئا لأنه مكنك من توجيه لطمة له ، وسمح لك بالذهاب إلى المعرض بمفردك ، ولكن اللوم يقع عليك أكثر منه لقد اقترح هو والسير "إلريك" أن يقوم بحراستك ثلاثة رجال ويدورون حولك كعقارب الساعة ولكني لم أرغب في إخافتك . وصممت على أن يكون "مارك" بمفرده .

جاء دور "شارلوت" لتصاب بالدهشة والذهول :

– وما دخل السير "إلريك" في الأمر ؟

– "مارك" يعمل عنده .

– وهل لا يزال ؟

عبس والدها وقال – بالتأكيد – لا أفهمك إنك تتصرفين وكأنه لابد من حبس "مارك" في القلعة في أقرب وقت .

قال "جوني" بحياء وهو يمرر أصابعه في شعره .

– اغفري لي تدخلي ولكني أشعر بأنكما لستما على اتفاق .

ركز نظره على "شارلوت" .

– ما الذي تأخذينه على "راينر" ؟.

– لقد كان متحالفا مع "باريك" .قفز والدها من مقعده وكأنه تلقى طلقة رصاص

– يا طفلتي العزيزة . ألا تفهمين أن كل ما فعله "مارك" عندما كنتما أسيرين إنما بغرض أن يجعل "باريك" يعتقد أن "مارك" في جانبهم .

صاحت :

– ولكنه كان في جانبهم فعلا . لقد منعني في أول مرة حاولت فيها الهرب . لقد سمعت ما قاله لهم برأيت كيف كان يتصرف .

– لقد فعل ذلك من أجل سلامتك أنت إذ كان "جيزر" على بعد أقدام قليلة منك . ياللعار يا "شيرلى" ! إن "مارك" عضو محترم للغاية لمنظمة يديرها السير "إلريك" .

انهارت "شارلوت" دون كلمة على المقعد قال لها "جوني" :

– ألا تتذكرين إشارتي إلى الجنرال "راينر" .. حسنا إن "مارك" هو ابنه .

– ابنه ؟ الابن الذي ذهب إلى كوبا ؟

– كانت مهمة سرية للأمريكيين . إذا كان هناك شيء آخر تريدين معرفته عنه يمكنك أن تسألي السير "إلريك" مباشرة حيث سيقضي عطلة هذا الأسبوع معنا هنا . وأريد أن أشكره شخصيا لأنه سمح لنا بخدمات "مارك" .

نهضت "شارلوت" وهي غير متمالكة لنفسها . لماذا لم يخبرني "مارك" بكل ذلك عندما كنا في البيت الريفي ؟

– كان يخشى أن تتركيه نتيجة ذلك .

– ولكن كان بإمكانه أن يقول لي عندما كنا نجري مطاردين .

– أعتقد أنه كان يحتفظ بأمر ما بذهنه ..

لم تنتظر لتسمع أكثر وطارت عبر الحجرة . ولم تتوقف إلا عندما وصلت إلى الباب ومدت يدها لـ"جوني" . قالت وهي متقطعة الأنفاس .

– هذا أمر سيئ .. لا أستطيع ...

أجابها بتقطيبة لئيمة .

– هذا واضح . لقد عرفت ذلك في اللحظة التي دخل فيها "رايتر" هنا الليلة منحته ابتسامة دافئة وأسرعت إلى أعلى نحو حجرة "مارك" وهي تدعو الله أن يكون هناك . لم تنتظر حتى تطرق الباب واندفعت للداخل . كان يغلق قفل الحقيبة ونظر إليها صائحا :

– كفى ! لا أريد مزيدا من الإهانات فلقد تلقيت منها ما يكفي وزيادة .

صاحت وهي ترتعد :

– هل تقبل اعتذارا؟

تجمدت يده على الحقيبة وتساءل .

– اعتذار!

– أم تريد مني أن أركع عند أقدامك ؟

سأفعل ذلك بكل رغبة وسأظل في مكاني حتى ترفعني .

ركعت على ركبتيها ولكنه أمسكها من وسطها .

قال وهو يتلجلج :

– لا ، أفضل أن تكوني عند مستواي ثم انحنى مقتربا وسأل :

– لماذا هذا التغيير في القلب ؟

عندما بدأت في الشرح وضع إصبعه على فمها وقال :

– فيما بعد يا حبيبتي لأن كل ما أريده الآن هو هذا ..

سحبها نحوه ووضع خده على شعرها أحست بجسده يرتعد فأحست بالعاطفة تملؤها كلها .

– أحبك كثيرا يا "مارك" هل يمكن أن تسامحني لكل الأشياء الرهيبة التي سببتها لك .

– أية أشياء ؟ كل ما أذكره هو قولك إنك تحبينني .

– ولكنك لا تعرف كم أحبك كثيرا .

– إذن أريني .

تعلقت ذراعاها برقبته واستكانت بين أحضانه وأخذ يدللها .

– هل تخشينني ؟

– أخشى نفسي . لقد عشت على أعصابي أياما طويلة ووجودك معي هكذا يزيد من اشتعالها .

– هناك حل واحد إذن لابد أن تتزوجيني فورا .

ابتعد عنها ونظر بعمق في عينيها . كان جادا ومصمما :

– هل تتوقعين أن أترك عملي وأن أعمل عند والدك ؟

كانت تعرف الإجابة الفورية عن سؤاله ولكن لم ترد منه أن يظن أنها تأخذ السؤال مأخذ الهزل فكرت دقيقة قبل أن تجيب :

– ستظل دوما سيد نفسك يا "مارك" وهذا أحد الأشياء التي تعجبني فيك ويجب أن تفعل ما تحب .

– هل توافقين أن يكون زوج "شارلوت بوفيل" رجلا مجهولا في أمن المخابرات ؟

إنني أود كثيرا أن أستمر في وظيفتي وأخشى ألا يكون هذا ممكنا ،

سألته بعصبية .

– وهل يجعلك هذا غير سعيد ؟

خفض رأسه وقبلها وقال :

– سآخذ مكافأتي ولكن ماذا عنك ؟

هل مازلت تؤمنين بأنني أجري وراء مالك ؟

– إطلاقا .

ضحكا معا وعندما لفت ذراعها حول رقبته ثانية خلص نفسه بحزم وخرج من الحجرة .

– تعالي نفسك يا آنسة "بوفيل" هناك أمر بسيط حول مباركة والدك للزواج وكذلك وثيقة الزواج .

مدت ذقنها بتعال .

– هل تلعب دور الزعيم عليّ ثانية يا "مارك" ؟.

– أنت على حق تماما يا آنسة !

تـــمـــت